الأزهر

المسلمون

في آسيا الوسطى والقوقاز

الجزء الثاني

إعداد

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي

جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - رجب ١٤١٤هـ .

المسلمون

في آسيا الوسطى والقوقاز

الجزء الثاني

إعداد

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي

جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - رجب ١٤١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصبحه أجمعين

وبعد

فنذكر القارىء الكريم أن هذه الدراسة تضم ستة فصول ، وقد صدر الجزء الأول منها مع عدد جمادى الآخرة محتويا على فصلين :

الأول : وقد شمل توزيع المسلمين فى هذه الجمهوريات إدارياً وعرقياً وما يقتصيه ذلك من عددهم ، وأهم الموارد الطبيعية الاقتصادية .

والثانى : وقد عنى بتاريخ المسلمين فى بلاد آسيا الوسطى والقوقاز بدءاً من الفتح الإسلامى حتى انهيار الاتحاد السوفيتى .

ونقدم الجزء الثانى ـ هدية رجب ١٤١٤ هـ ـ من هذه الدراسة متضمناً المبحث الأخير من الفصل الثانى والفصل الثالث : الذى يتناول أهم معالم الحضارة الإسلامية فى تلك الجمهوريات ؛ حيث نركز على دور العلماء أبناء المنطقة فى إرساء الحضارة الإسلامية ، وأثر اللغة العربية على اللغات المحلية وآدابها ، وأهم الآثار والفنون الإسلامية فى كل من : بخارى ، وسمرقند ، وطشقند ، وخيوة

ثم يعقب ذلك الفصل الرابع ويتناول الجوانب الاقتصادية للجمهوريات من حيث الهياكل الإنتاجية الزراعية الصناعية والخدمية ، وأثر النظام الشيوعى على تلك القطاعات ، وكذلك النظم النقدية حاليا ومستقبلا ، والموارد البشرية وخصائصها ، ومستوى الرعاية الصحية والتعليمية .

هذا فضلا عن أهم معالم الإصلاح الاقتصادى والمعوقات التى تواجهه محليا وإقليميا ودوليا ، وكذلك المنظمات الاقتصادية التى تشترك فيها الجمهوريات .

ومن الجدير بالذكر أن « الفصل الرابع » مُهِّدَ له بفشل النظرية الاقتصادية الشيوعية ـ التى قام عليها النظام الاقتصادى المركزى التخطيطى ـ وشهادة أحد أكابر اقتصادى العصر بعدم صلاحية تلك النظرية .

وبمشيئة الله سيتناول الجزء الثالث من هذه الدراسة : المستقبل السياسى للجمهوريات فى الفصل الخامس وأساليب وضع الجمهوريات على طريق الشرعية الإسلامية فى الفصل السادس .

والله ولى التوفيق

مصطفى دسوق كسبه

المبحث السابع
انهيار الاتحاد السوفيتى

عندما تولى الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف السلطة فى الاتحاد السوفيتى فى مارس عام ١٩٨٥ م انتهج سياسة مختلفة تماماً عن سياسة أسلافه،وذلك عندما رفع شعار"البيروسترويكا"الذى يقوم على سياسة "الجلاسنوست"أى :إعادة البناء والمصارحة . وأحدثت سياسات جورباتشوف صدى سريعاً فى دول أوربا الشرقية التى أسقطت شعوبها الأنظمة الشيوعية وسار معظمها فى طريق الانفتاح الاقتصادى على المعسكر الغربى،وتبنت سياسة اقتصاديات السوق ، وتمت الوحدة الألمانية،وانهار حلف وارسو،فى حين لم يتأثر الاتحاد السوفيتى نفسه كثيراً من سياسة المصارحة والمكاشفة.إلا من بعض التغيرات المظهرية على حد قول بعض المحللين فى الوقت الذى وافق فيه الرئيس جورباتشوف على سحب وتدمير الأسلحة النووية المتمركزة فى دول أوربا الشرقية،وتقليص الترسانة الإستراتيجية السوفيتية إلى أدنى معدل لها فى خطوات أجبرت الولايات المتحدة على انتهاج خطوات مماثلة تمثلت فى المبادرة التى أعلنها الرئيس بوش لخفض ترسانة الولايات المتحدة من الأسلحة النووية . وعندما بدأت سياسة البيروسترويكا تأتى ثمارها فى الإتحاد السوفيتى واتجه العديد من الجمهوريات (ليتوانيا ـ

لاتفيا ـ استونيا) للاستقلال جاء الإنقلاب العسكرى الفاشل ضد الرئيس السوفيتى جورباتشوف فى ١٩ أغسطس الماضى (١٩٩١م) احتجاجاً على هذه السياسة التى أدت من وجهة نظر قادة الإنقلاب إلى تردى الأوضاع الاقتصادية . تلا ذلك اعتراف معظم دول العالم باستقلال الجمهوريات الثلاث ليضطر الرئيس جورباتشوف إلى إعلان ذلك بعد أن عارض كثيراً عملية الانفصال . حاول الرئيس السوفيتى عقب ذلك إنقاذ الاتحاد السوفيتى من خطر التفكك، فدعا رؤساء الجمهوريات الاثنتى عشرة لعقد لقاء للتوصل إلى معاهدة جديدة للاتحاد تراعى الكونفدرالية أو الفيدرالية لدول مستقلة ذات سيادة يكون للسلطة المركزية بموسكو دور واضح فيها .

فى الوقت الذى كان فيه الرئيس جورباتشوف يستعد لهذا اللقاء أعلنت جمهورية أوكرانيا عن إجراء استفتاء شعبى أسفر عن موافقة مواطنيها على الانفصال وتكوين دولة مستقلة رغم نداءات جورباتشوف لهم بالوحدة، واستغل الرئيس الروسى بوريس يلتسين هذا الوضع كحجة لعدم الموافقة على عقد معاهدة جديدة للإتحاد . هكذا جاء الكومنولث الجديد بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضاء لينهى « عملياً » وضع الإتحاد السوفيتى كدولة وليقضى على المستقبل السياسى للرئيس جورباتشوف . يرجع السبب فى ذلك إلى أن الاتحاد السوفيتى كان يتكون من خمس عشرة جمهورية رئيسية، وبعد انفصال جمهوريات البلطيق الثلاث اقتصر الاتحاد السوفيتى على اثنتى عشرة جمهورية فقط هى :- روسيا الاتحادية ـ أوكرانيا ـ روسيا البيضاء ـ

جورجيا – أرمينيا – مولدافيا بالإضافة إلى ست جمهوريات إسلامية : كازاخستان – أذربيجان – أوزبكستان – قيرغيزيا – طاجيسكتان – تركمانستان . وقبل الأحداث الأخيرة كان الاتحاد السوفيتي يملك نحو ٣٠ ألف رأس نووية تعادل ٥٤ ٪ من القدرة التدميرية لكل الرؤوس النووية فى العالم ورغم ذلك فإن العجز الاقتصادى مقوماً بالسعر العالمى وصل إلى ٤٠ مليار دولاراً والديون ٨٤ مليار دولاراً،وأصبحت المجاعة واقعاً عملياً وخطراً يواجه شعوب الاتحاد السوفيتي مما دعا العديد من الدول إلى إعلان عزمها على إرسال معونات غذائية لموسكو لمواجهة فصل الشتاء القارس[١٠١] .

الكومنولث الجديد

فى الثامن من ديسمبر الماضى (١٩٩١) أعلن رؤساء ثلاث جمهوريات سوفيتية فى خطوة هامة وغير مسبوقة إنشاء كومنولث جديد ونهاية الاتحاد السوفيتي كدولة ، واختيار مدينة « مينسيك » عاصمة روسيا البيضاء عاصمة للكومنولث الجديد .

وجاء إعلان تشكيل الكومنولث الجديد من جانب رؤساء جمهوريات : روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء وأوكرانيا ؛ ليضع حداً للمحاولات التى كان يقوم بها الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف

(١٠١) نشرات متعددة – الهيئة العامة للاستعلامات ، صحيفة الاهرام ، صحيفة الحياة الدولية وغيرها من الصحف خلال الفترة محل الدراسة .

لإيجاد تجمع جديد وصيغة جديدة للاتحاد السوفيتي فى محاولة من جانبه للخروج من الأزمات التى يواجهها الاتحاد السوفيتى، خاصة الأزمة الاقتصادية التى لم يشهد لها مثيلاً من قبل . وعقب إعلان الكومنولث الجديد قدم الرئيس السوفيتى جورباتشوف استقالته من منصبه مع نهاية عام ١٩٩١ وبذلك انتهى رسمياً الاتحاد السوفيتى كدولة . وفى هذا الإطار أصدر الرئيس بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا الاتحادية عدة قرارات استهدفت الاستيلاء على مبنى الكرملين والإذاعة والتليفزيون ووكالة المخابرات السوفيتية « الكى . جى . بى. » وحل وزارة الخارجية السوفيتية وإنزال العلم السوفيتى الأحمر من فوق مبنى البرلمان السوفيتى السابق . وفى « آلما ـ آتا » عاصمة جمهورية كازاخستان اجتمع زعماء إحدى عشرة جمهورية، ووقعوا على اتفاقية جديدة تعلن قيام كومنولث جديد يضم الجمهوريات الإحدى عشرة بما فيها الجمهوريات الثلاث المؤسسة للكومنولث، كما تم الاتفاق على إلغاء منصب رئيس الاتحاد السوفيتى[١٠٢] .

(١٠٢) نفس المراجع السابقة .

الفصل الثالث

الحضارة الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر

تمهيد : الملامح العامة للحضارة الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر .

المبحث الأول : إسهام علماء آسيا الوسطى والقوقاز فى الحضارة الإسلامية .

المبحث الثانى : العلامة الطرازى المجاهد التركستانى .

المبحث الثالث : علاقة التأثير والتأثر بين اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما .

المبحث الرابع : نشأة الخط القرآنى وانتشاره فى آسيا الوسطى والقوقاز .

المبحث الخامس : الآثار المعمارية فى آسيا الوسطى والقوقاز .

تمهيد

الملامح العامة للحضارة الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر[1]

شهد نهر جيحون حضارة زاهرة ، وعاش تاريخاً عريقاً ، فعلى جوانبه ازدهرت حضارة آل محتاج والصاغانيين والسامانيين ، والخوارزمشاهيين والمأمونيين وغيرهم . وكانت مدنهم من أهم المدن التى أثرت تأثيراً كبيراً فى ازدهار الحضارة الإسلامية ورقيها ، ونذكر من أهم المدن التى عاشت فى كنف جيحون أو نعمت بأحد روافدة : بلخ ، بخارى ، ترمذ ، سمرقند ، خوارزم .

بلخ : هى أقدم المدن الكبرى فى حوض نهر جيحون ، وقد اعتبرها المؤرخون المسلمون أم البلاد ، وقبة الإسلام . فقد كانت عاصمة دولة كبرى هى بكتريا القديمة[2]، [3] التى ظهر فيها زرادشت بدينه الجديد بعد أن رفضه أهل موطنه آذربيجان ، ومن هذا الإقليم ذى الألف مدينة على حد تعبير جوستين نفذت عبارة النار إلى الصغد وخوارزم ، ومن معبد النوبهار المشهور الذى تولت السدانة فيه أسرة البرامكة المعروفة ، انتشر المذهب الجديد فى فارس القديم وميديا[4] .

---

(١) د. عفاف السيد زيدان ، نهر جيحون فى الشعر الفارسى حتى نهاية القرن الثامن الهجرى ، مؤتمر « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » المجلد السادس ، ص ١١ - ١٣ .

(٢) بارتولد ، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين هاشم ص ١٦١ . الطبعة الأولى الكويت عام ١٩٨١ م .

(٣) محمد بادشاه ، متخلص بشاد فرهنك آنندراج ، تحقيق محمد دبير سياق ، ص ٥٩٠ المجلد الثانى طهران ١٣٣٥ هـ.ش .

(٤) واميرى تاريخ بخارى ترجمة ، الدكتور أحمد محمود الساداتى ص ٤٢ .

وعلى يد قيس بن الهيثم والى خراسان قضى على هذا المعبد عام ٤٠ هجرية ويسميها المؤرخون العرب بلخ البهية ، ويطلق عليها العجم بلخ بامى ، وهى ـ أيضاً ـ بمعنى البهية . يقول عنها المقدسى «ليس بأقاليم العجم مثلها حسنا ، ويساراً»[٥] .

وفى الطبقة الأولى من طبقات الصوفية عد السلمى كثيرا من أهل بلخ الذين عبدوا الطريق أمام السالكين ، وفتحوا الآفاق أمام المريدين منهم : إبراهيم بن أدهم ، شقيق البلخى ، حاتم الأصم ، أحمد بن خضوريه .

بخارى : لقد حبكت حولها الأساطير ، وتقول إحدى هذه الأساطير : إن سياوش بن كيكاوس هرب، من إيران ، وعبر نهر جيحون حتى أتى بخارى ، فأكرم أفراسياب وفادته وزوجه من ابنته ، وأراد سياوش أن يترك من ورائه أثراً فأقام مدينة بخارى ، وقيل : إن منشىء هذه المدينة هو أفراسياب نفسه[٦] .

ويصنف الثعالبى بخارى فى عهد السامانيين فيقول فى اليتيمة : «إنها كانت مثابة المجد وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر» ويكفى أن تعد من الفضلاء : البخارى صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله ، وابن سينا صاحب كتاب الشفاء وقد ولد فى بخارى ، وقد أمدنا بوصف رائع لمكتبة السامانيين فى بخارى

---

(٥) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ـ المقدسى البشارى ، ص ٣٠٢ .

(٦) فاميرى ـ تاريخ بخارى ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتى ص ٢٣٩ .

حيث قال : « ورأيت من الكتب مالم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما رأيته قبل ولا رأيته ــ أيضاً ــ من بعد »[7].

ومما يؤكد الأهمية الحضارية لبخارى أنها كانت أحد المراكز الأربعة فى العصر الغزنوى التى تجذب إليها رجال العلم والأدب ، وهذه المراكز بالإضافة إلى غزنة هى :

١ ــ قصر الصحاب بن عباد وزير البويهيين ، وكان يقيم عادة فى أصفهان أو الرى .

٢ ــ قصر السامانيين فى بخارى

٣ ــ قصر قابوس وشمكير فى طبرستان .

٤ ــ قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم آل مأمون فى خيوة[8] .

ترمذ : وهى على حد تعبير ياقوت الحموى « مدينة مشهورة من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى »[9] .

ويقول عنها المقدسى : « هى أجل مدينة على نهر جيحون ، نظيفة طيبة »[10] وقد هدمها جنكيز ثم جددت بعيداً عن شط جيحون .

ومن علماء ترمذ المشهورين : أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى صاحب الصحيح أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث ، وبه كان يضرب المثل[11] والحكيم الترمذى صاحب كتاب ختم الولاية ،

---

(٧) بارتولد ، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ص ٧١ الترجمة العربية .

(٨) براون ، تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٩) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ص ٢٦ .

(١٠) المقدسى البشارى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٩١ .

(١١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ص ٢٧ .

وله مقبرة يقول عنها بوسلافسكي : «إنه لا يكاد يفوق هذا الأثر فى اتقان الصنعة ، وجودة المادة أى أثر من الآثار التاريخية التى وقع عليها بصرة فى المنطقة بأسرها»[١٢] .

سمرقند : ويطلق عليها العرب اسم مدينة المسرات ، فهى حاضرة إقليم الصغد ، وهى مصيف الأمراء ؛ لما كانت تشتهر به من جمال الطبيعة والمناخ الصحى ، وهى أعظم المدن الواقعة فيما وراء نهر جيحون ، وكانت تنافس بخارى على مدار التاريخ ويقول عنها بابر : «إنه قل نظيرها فى العالم المسكون» وقد عرف العرب الورق حين فتحوها ، فهى تنتج أحسن أصناف الورق[١٣] .

خوارزم : وهى أحد المراكز الأربعة فى العلم والأدب ، وقد قال المقدسى : « إن أهلها أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب »[١٤] وإنها جليلة واسعة كثيرة المدن .

وقد عقد الثعالبى فى اليتيمة باباً أسماه «غرر فضلاء خوارزم» تحدث فيه عن أبى بكر الخوارزمى ، وأبى عبدالله بن حامد الخوارزمى وغيرهما[١٥] .

نحن نقرأ عن مدن نهر جيحون مثل بلخ وبخارى وسمرقند فى تراثنا الجغرافى ، فنجد حديثاً عن الجنة كما يتصورها الإنسان مجسدة أمامه فى هذه الدنيا . يقول المقدسى عن صغانيان «خبز رخيص ولحم كثير وماء

---

(١٢) بارتولد ، تركستان من الفتح العربى حتى الغزو المغولى ، ص ١٦٠ الترجمة العربية .

(١٣) فاميرى تاريخ بخارى ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(١٤) المقدسى ، البشارى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٨٤ .

(١٥) الثعالبى ، يتيمة الدهر ص ١٩٤ ـ ٢٠٥ ، جـ٤ ، الطبعة الأولى .

غزير .. فى كل بيت ماء جار قد التفت بها الأشجار طيبة فى الشتاء كثيرة الأمطار والثلوج »[١٦] .

كما يقرر الاصطخرى أن شطراً كبيراً من مساحة سمرقند كانت تشغله البساتين فقد كان كل منزل يضم بستاناً بالتقريب ، وكان الناظر إلى المدينة من أعلى القلعة لا يستطيع رؤية مبانيها من خلال الأشجار[١٧] .

إقليم نهرى جيحون وسيحون يعتبر معبراً للتجارة بين الشرق والغرب ، وقد سمى طريق القوافل بين الشرق والغرب باسم طريق الحرير ، وكان يمر على كثير من مدن هذا الإقليم مثل : بخارى وسمرقند وخوارزم مما جعلها تعيش فى يسار اقتصادى وانتعاش تجارى .
يضاف إلى النشاط التجارى النشاط الزراعى ، فدلتا النهر والواحات والبحيرات والأنهار.والمجارى المائية التى تعد بالآلاف قد أضفت الحياة على الأراضى التى تمر بها فأنتجت الحبوب والفاكهة والقطن كما ربيت الحيوانات .
أما فى الصحراء وشبه الصحراء فقد وجدت المراعى المتنقلة التى قام أكثرها على تربية الأغنام والماعز وبعض الخيول والبغال والحمير والماشية . وقد أكرم الله المنطقة بالثروة المعدنية ، ففيها : البترول والغاز والفحم والحديد والرصاص ، والذهب والفضة والياقوت واللازورد ،

---

(١٦) المقدسى البشارى ، ص ٢٨٣ .

(١٧) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، طبعة لندن ، ص ٣١٧ .

وفى نص نادر يحدثنا المقدسى عن تطور الصناعة فى بلاد ما وراء النهر فيقول : «أما التجارات فيرتفع من ترمذ الصابون والحلتيت ..

ويرتفع من بخارى الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المنابر ومن ربنجن ازر الشتاء من اللبود الحمر ..

ومن خوارزم السمور والسنجاب وقاقون وفنك ودلة والثعالب وخزبوست وخركوش ملون وبزبوست والشمع والنشاب والتوز والقلانس وغرا السمك وأسنان السمك ..

ويحمل من سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية والقدور العظيمة من النحاس والقاقم الجياد والأخبية والركب والحكمات .. ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى حمرجل وسينيزى وقزكثير وثيابه والبندق والجوز .

ومن فرغانة أسبيجاب الرقيق من الأتراك مع الثياب البيض وآلات السلاح والسيوف والنحاس والحديد .. ولا نظير للحمان بخاراً وجنس بطيخ لهم يسمى الساف ولا لقسى خوارزم وغضائر وكاغذ سمرقند[18] .

---

(١٨) المقدسى البشارى ، أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ص ٣٢٣ ـ ٣٢٦ .

المبحث الأول

إسهام علماء آسيا الوسطى والقوقاز فى الحضارة الإسلامية

كان لأبناء آسيا الوسطى والقوقاز إسهام كبير فى إثراء الحضارة الإسلامية ، وظهر هذا فى عددهم الكبير ، وفى تنوع التخصصات .

وقبل الحديث عنهم ودراسة أسباب ازدهار العلوم والفنون . نتكلم عن خصائص العلم الذى فرض على المسلمين .

خصائص العلم الذى فرض على المسلمين :

إن علماء المسلمين عندما مارسوا عملهم العلمى فى البحث عن المعرفة ـ باعتباره فريضة إسلامية ـ إنما كانوا على دراية تامة بما تدعو إليه تعاليم الإسلام ، قرآناً وسنة ، من محاربة التنجيم والتنبؤ العشوائى والتعصب للعرف والعرق ، وبتحذيرها من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات .

والباحث المنصف لايجد أى عناء فى إدراك أن هذه التعاليم الإسلامية التى تحارب كل معوقات البحث العلمى تعتبر أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس المنسوبة إلى بيكون ، والتى كثيراً ما يباهى بها فلاسفة العلم وشراح المنهج العلمى[١٩] .

---

(١٩) د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم الطبيعية فى التراث الإسلامى ، دراسة تحليلية مقارنة فى المنهج العلمى ، مجلة المسلم المعاصر ، ع ٤٩ « ١٩٨٧ » راجع أيضاً : عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية .

ومن خصائص[٢٠] العلم الذى فرض على المسلمين تحصيله أن يكون مسخراً لخدمة الدين الإسلامى كقيمة عليا فى المجتمع الإسلامى ، وأن يكون فى الوقت نفسه عامل تقدم وازدهار وارتقاء لحياة البشر على الأرض ، وقد أدرك علماء المسلمين منذ البداية أنه لا تعارض بين العلم والدين الصحيحين ، وأن النشاط الغلمى لابد أن يكون منسجماً فى بداياته وغاياته مع مبادىء وغايات ومقاصد العقيدة الإسلامية ، ولهذا فإنهم سخروا علمهم للدفاع عن عقيدتهم ونصرة دينهم على أساس الحق والعدل ومحاربة الباطل والظلم والتخلف ، ولم يسخروا علمهم فى صنع وسائل الدمار والهلاك واستعمار الشعوب ، وكانت جميع العلوم الكونية تدرس ويُبحث فيها على أساس إيمانى .

فالحساب كان ضروريا للمواريث والوصايا والمعاملات التجارية .

والفلك لمعرفة مواقيت الصلاة وفصول السنة والمواسم الدينية .

والفيزياء لفهم قوانين العالم الطبيعى الذى نعيش فيه .

وعلم النبات لمعرفة خواص مختلف النباتات ومنافعها ومضارها وآفاتها وطرق غرسها وتدبيرها ورعايتها وعلاج أمراضها .

وهكذا بالنسبة لبقية فروع المعرفة العلمية . ومن هذا المنطلق ـ أيضاً ـ نجد أن علماء المسلمين كانوا يكثرون فى مؤلفاتهم من الأمثلة

---

(٢٠) د. أحمد فؤاد باشا ، « الحضارة الإسلامية فى بلدان آسيا الوسطى ودور علمائها فى تأسيس مناهج البحث العلمى » ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » جامعة الأزهر ، ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد الخامس ، ص ١٠ .

والتمارين المرتبطة بواقع الحياة ، ويأتون فيها بمسائل علمية تتعلق بحاجيات ومقتضيات عصرهم[٢١] .

كذلك يتميز العلم الذى فرض على المسلمين تحصيله أنه قاصر عن إدراك الحقيقة المطلقة ، على نحو ما تشير إليه بعض معانى الآيات القرآنية الكريمة فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢٢] .

وقوله :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٢٣]

وقوله :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٢٤]

وقد أدرك علماء المسلمين ـ أيضاً ـ هذه السمة الأساسية من سمات علم الإنسان المحدود والقاصر بالنسبة لعلم الله المحيط بجميع الموجودات قديمها وحديثها بكلياتها وجزئياتها ، فالإنسان يجرى أبحاثه على أجزاء محدودة جدا من الكون وظواهره ، وبمعزل عن بعضها البعض ، دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة

---

(٢١) د. عمر التومى الشيبانى ، الحركة العلمية فى مجال العلوم الأساسية من حيث نشأتها وتطورها وإسهاماتها ، وأسسها والعوامل التى أثرت فيها ، ندوة التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية ، طرابلس ـ ليبيا ، ١٩٩٠ م .

(٢٢) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٢٣) سورة طه : الآية ١١٤ .

(٢٤) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

عليه ، ومن ثم فإن استنتاجاته لا تعدو أن تكون مظهراً خارجيا للحقيقة الكاملة المطلقة هدفا اسمى يسعى إليه العلماء عبر الأجيال من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم ، تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم في السبق، إلى كشوف علمية جديدة وإلقاء الضوء على حقائق جزئية في الواقع الكونى الثابت وبذلك يكون المسلمون الأوائل قد سبقوا ـ بفضل تعاليم الإسلام الحنيف ـ إلى فهم طبيعة العلم والقانون العلمى بما يصحح الاستخدام الإنسانى الخاطىء لهما من الناحيتين الفلسفية والتقنية على نحو ما حدث بعد ذلك من جانب أنصار «الحتمية» وأصحاب الفلسفات العلمية الحديثة الذين بالغوا فى تقديس العلم إلى درجة التأليه ، وما شاء الله[٢٥] .

أولا : دور علماء آسيا الوسطى والقوقاز فى الحضارة الإسلامية:

نشطت الحياة الإسلامية فى آسيا الوسطى ، وصاحبها التعليم والدراسة حتى أصبحت مركزاً للعلوم الإسلامية ، وموطنا من مواطن اللغتين العربية والفارسية ، وأصبحت مدنها التركية مراكز علمية عظيمة شملت كافة الموضوعات من أدب وفلسفة وعلوم وصناعات وأعمال يدوية وغير ذلك ، ويشهد التاريخ أن هذه المراكز العلمية قد أخرجت لنا أدباء وشعراء وعلماء ومحدثين ، وفقهاء وحكماء ومتخصصين فى كل فن من فنون المعرفة ، ولدينا العديد من أسماء الأعلام الإسلامية المنتسبين إلى مدن بخارى وسمرقند وبلخ وهراه ومرو ، نالوا شهرة عريضة لم ينلها علماء إقليم إسلامى آخر .

(٢٥) د. أحمد فؤاد باشا ، المرجع السابق ، ص ١١ .

وبعد أن وثق علماء وأدباء آسيا الوسطى فى علومهم وآدابهم ، بدأوا يصدرون العلم والأدب[٢٦] ، ومن أراد أن يعرف الجهود التى بذلها أهل ما وراء النهر وإسهاماتهم فى الثقافة الإسلامية ويقدر كل ذلك حق قدره فما عليه إلا أن يرجع إلى كتب طبقات العلماء ، مثل : طبقات الأطباء ، والحفاظ ، والفقهاء ، والمحدثين ، والنحاة ، واللغويين والشعراء .. الخ .

ومما لا شك فيه أن بروز علماء كبار من أهل تلك البلاد من أمثال الإمام البخارى لم يكن بين عشية أو ضحاها ، بل لابد أن يكون هذا الجيل من العلماء مسبوقاً بأجيال كثيرة مهدت له الطريق[٢٧] ، ومن العلماء الذين ضربوا فى العلم بسهم وافر كما فعل البيرونى وغيره ، بل منهم الذين وضعوا لنا أسس النقد الأدبى والبلاغى كما فعل عبد القاهر الجرجانى فى كتابه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» وكذلك عبدالعزيز الجرجانى صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه»[٢٨] .

---

(٢٦) انظر د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمى ، شخصية إسلامية من آسيا الوسطى على شيرانوئى ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » ، جامعة الأزهر ٢٨ ــ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد السادس ، ص ٦٥ .

(٢٧) انظر د. حسن أحمد محمود ، الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، ص ١٦٣ ــ ١٦٤ .

(٢٨) د. عبدالصبور مرزوق : « الجمهوريات الإسلامية العائدة » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ٥١ العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ص ٢٦ ــ ٢٧ ، وراجع د. خليل عبدالمجيد أبو زيادة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

ولكى نوضح هذا الدور استخدمنا معياراً كميا يوضح الوزن النسبى لإسهام علماء آسيا الوسطى والقوقاز فى الحضارة الإسلامية ، فتناولنا خمسة وعشرين عالماً مسلماً من المشهود لهم بالريادة وطول الباع فى مجالات العلوم المختلفة[٢٩] .

والعلماء المسلمون محل الدراسة تم ترتيبهم حسب تاريخ مولدهم ، هم :

١ ـ جابر بن حيان
٢ ـ موسى بن شاكر
٣ ـ الخوارزمى
٤ ـ الكندى
٥ ـ الدينورى
٦ ـ ثابت بن قره
٧ ـ البتانى
٨ ـ أبو بكر الرازى
٩ ـ الفارابى
١٠ ـ الخازن
١١ ـ الصوفى
١٢ ـ ابن يونس
١٣ ـ الزهراوى
١٤ ـ البوزجانى
١٥ ـ المجريطى
١٦ ـ البيرونى
١٧ ـ ابن الهيثم
١٨ ـ ابن سينا
١٩ ـ ابن العوام
٢٠ ـ البغدادى
٢١ ـ ابن البيطار
٢٢ ـ القزوينى
٢٣ ـ ابن النفيس
٢٤ ـ ابن ماجد
٢٥ ـ داود


(٢٩) عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

الانطاكى .

والعلماء ١ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ ينحدرون من آسيا الوسطى وأدت إضافاتهم العلمية العربية أن أصبحوا من أوائل علماء العالم ويدل ذلك على انصهار تلك الشعوب فى بوتقة الحضارة العربية الإسلامية . انظر الشكل رقم (١) .

ومن الواضح أنه خلال فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية كنا نجد العديد من العلماء الرواد . وكنا نجد مشاعل العلم تبزغ فى العديد من أركان أمتنا الإسلامية الأمر الذى يدعو إلى ضرورة التبصر بأسباب ذلك انظر الشكل رقم (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن اضافات علماء المسلمين فى الأعم كانت فى أكثر من فرع من فروع المعرفة ، سواء العلم التجريبى أو الفلسفى مما يدل على تكامل شخصية العالم المسلم إبان فترة ازدهار الحضارة الإسلامية .



شكل رقم (١) فترة حياة ٢٥ عالماً مسلماً .

● المصدر : د. محمد يونس الحملاوى ، علماء المسلمين هل من دور لهم ؟ .. مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد الخامس ، ص ٤١ .



الحروب الصليبية

التتار

٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١

هجرية ١٠٠٠ ٩٠٠ ٨٠٠ ٧٠٠ ٦٠٠ ٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠

شكل رقم (٢) عدد علماء المسلمين من داخل عينة من ٢٥ عالماً على مدار السنين .

● المصدر : د. محمد يونس الحملاوى ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

ثانيا : العوامل المؤثرة فى صعود وهبوط الحضارة الإسلامية :

شهدت الحضارة الإسلامية موجات من الصعود والهبوط ، ولكل حالة أسباب ونتائج ، وهذا يدعونا لدراسة العوامل المؤثرة فى الصعود والهبوط ، ولأن الدولة العباسية شهدت أعلى مراحل الصعود ، لذا سوف نتكلم بإفاضة عن عوامل الصعود والهبوط للحضارة الإسلامية فى عصرها .

لقد شهدت الدولة العباسية أزهى وأعظم عصور الإسلام ، ففيها اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتعاظم شأن عاصمة الخلافة (بغداد) . وفى المقام الأول وفوق هذا كله شهدت الدولة العباسية نهضة علمية وفكرية تعد من أكثر النهضات العلمية أثرا فى التطور الحضارى العالمى . ونمت حركة الترجمة سواء فى العلوم أو الفلسفة ، وشملت مختلف التراث العالمى ، وتعددت مراكز البحث العلمى والترجمة فى مختلف البقاع فى الدولة الإسلامية[٣٠] وسرعان ما تمكن العرب والمسلمون من استيعاب الحضارات الأجنبية والافادة مما تم من ترجمة ونقل لتراثها الفكرى والعلمى ، ثم انتقلوا إلى دور الإبداع والابتكار ، فأبدعو حضارة جديدة كانت عمادا للنهضة الأوربية الحالية فى شتى فروع العلم والمعرفة .

أما وأن حركة الترجمة كانت هى نقطة الانطلاق لبناء الحضارة الإسلامية ، فان التبصر بأسباب ازدهار الترجمة قد يكون معينا لنا لربط

(٣٠) صوفى حسن ابو طالب ، تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

حاضر الأمة بماضيها الزاهر ، ولقد ازدهرت حركة الترجمة للأسباب الآتية :

١ ـ حرية الرأى والتعبير لجميع مواطنى للدولة .

٢ ـ جعل مؤسسة الترجمة احدى مؤسسات الدولة الرسمية وتخصيص الأموال اللازمة لذلك من بيت المال بالاضافة إلى الهبات التى كانت تمنح للمترجمين . فعلى سبيل المثال كان الخليفة المأمون يمنح أشهر المترجمين وزن كل كتاب ينقله إلى العربية ذهبا وفضة .

٣ ـ جلب الكتب والمخطوطات من مختلف الأمم ، ليتم ترجمتها وشرحها على أيدى أشهر المترجمين فى الدولة الإسلامية(٣١) .

إن التبصر بأسباب ازدهار الحضارة الإسلامية سوف يضع أيدينا على أسباب حقيقية للتقدم فى ذلك العصر ، كما أظنها أسباباً للتقدم فى عصرنا الحالى . لقد ازدهرت الحضارة الإسلامية إبان حكم العباسيين لعدة أسباب أهمها :

١) إقامة حكم إسلامى توافرت فيه المساواة بين جميع شعوب الدولة الإسلامية مما أتاح لجميع تلك الشعوب الإبداع فى شتى مجالات العلوم .

٢) رعاية الحضارة العربية الإسلامية وإتاحة كافة الفرص أمامها للازدهار والانتشار(٣٢) ، ولقد تمثلت تلك الرعاية فى المجالات الآتية :

---

(٣١) كامل حمودة : تاريخ العلوم عند العرب ، دار الفكر اللبنانى ، بيروت ١٩٩٠ م .

(٣٢) إبراهيم أحمد العدوى ، تاريخ العالم الإسلامى ، الجزء الأول ، معهد الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

أ ـ توفير المال اللازم لما يتطلبه التقدم العلمى والمادى فى الدولة ؛ حتى إن الخلفاء ووزرائهم كانو يتبارون فى الاتفاق على العلماء .

ب ـ ممارسة الحرية الفكرية ، فلقد وجد الخلفاء العباسيون أن أمثل السبل لهضم التيارات الفكرية العديدة هى إتاحة الحرية أمام أصحابها للتعبير عنها واتخاذ تلك الحرية سبيلا للإحاطة بالفاسد منها وتنمية ما تثبت صلاحيته ، وبذا نشأ عن ذلك وعاءاً تصب فيه مختلف آراء الأمة لينميها ، وأصبح ذلك الوعاء مكوناً أساسياً للنظام .

ونود أن نشير إلى حركة الزندقة وكيفية تغلب الدولة عليها عن طريق درء الحجة بالحجة .

جـ ـ تيسير سبل المعرفة أمام جميع أبناء الدولة ، وهذا أمر طبيعى لممارسة الحرية الفكرية . كما لم يكن هناك ثمة مصاريف تطلب للتعليم فهو مجانى من حق الجميع ، وكان لذلك أعظم الأثر فى بناء الحضارة العربية الإسلامية ، فلقد تغلغلت المعرفة والثقافة فى جميع أوساط الأمة .

د ـ اتخاذ اللغة العربية أساساً لتلك الحضارة ، ساعد على صهر ثقافات جميع أطراف الدولة الإسلامية فى بوتقة واحدة ، لدرجة أن إنجازات شعوب الدولة الإسلامية بغير اللغة العربية لا يذكر عنها شىء تقريباً لضآلة إضافتها للحضارة . كما شجع ذلك أجناس شعوب الدولة الإسلامية فى الانصهار فى الوعاء العربى حتى غدت جنسا واحد ،

ومنذ ذلك الحين أخذت الكثير من الشعوب « التى نطلق عليها الشعوب العربية » اللغة العربية لغة لها تتكلم وتتفاهم وتتفاعل من خلالها[٣٣] .

كان ذلك عن الازدهار اما التدهور فله أسباب أيضاً علنا نجد فيها ما يعيننا على النهوض بأمتنا من كبوتها الحالية . وتتلخص هذه الأسباب فى الآتى :

١ ــ قفل باب الاجتهاد حيث نجد أن عدد العلماء فى شتى نواحى العلوم قد بدأ فى التناقص منذ ذلك التاريخ انظر الشكل رقم (٢) .

٢ ــ انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات يحارب بعضهم البعض .

٣ ــ تقلص مكانة العلماء ، فلم يعد للعلماء تلك المكانة اللائقة بهم فى الدولة الإسلامية .

« ويطيب لى أن أنوه إلى أنه بجانب كافة أنواع التكريم التى يلقاها علماء الدول المتقدمة نجد أنه يمكن لعضو المجمع العلمى الفرنسى حالياً أن يقابل رئيس الدولة الفرنسية وقتما يشاء بدون سابق ترتيب » .

٤ ــ أدى تقلص مكانة العلماء وابتعاد الدولة عن الأخذ بالأسباب الحقيقية للحضارة إلى تفشى الدسائس مما قضى على الحرية الفكرية التى كانت سائدة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية . كما أدى ذلك إلى عزوف البعض « عن جهل أو عن قصد » عن العمل بالعلم والتحلى بروح الإقدام التى على أكتافها تقوم وتتقدم الأمم .

---

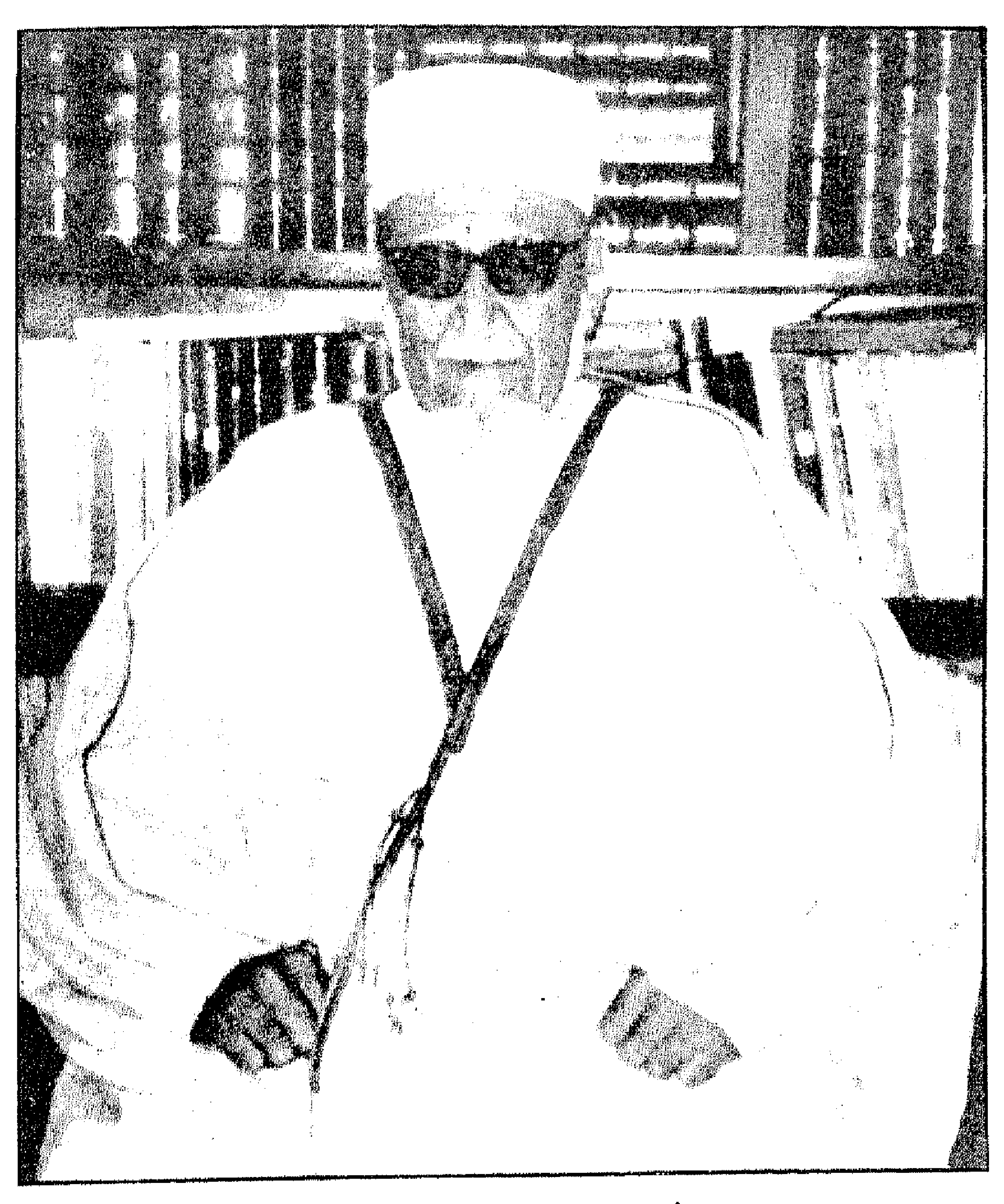
(٣٣) كامل حمودة : تاريخ العلوم عند العرب : دار الفكر اللبنانى ، بيروت ١٩٩٠ .

٥ ـ تفكك أوصال الدولة الإسلامية لم يشجع العلماء على إفراز نشاطهم العلمى فى بوتقة واحدة . .

٦ ـ أدى تضعيف دور اللغة العربية كبوتقة للحضارة العربية الإسلامية إلى طمس الكثير من أركان الهوية الإسلامية وإلى إضعاف روح الانتماء للدولة الإسلامية لدى أفراد شعوبها .

٧ ـ انغماس خلفاء المشرق والمغرب فى الترف والسلطان أضعف شوكتهم حتى داهمهم التتار والصليبيون وحلت النكبة ببلاد المسلمين[٣٤]

(٣٤) د. محمد يونس الجملاوى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ـ ٣٨ .



العلامة أبو النصر مبشر الطرازى الحسينى

المبحث الثانى

العلامة الطرازى المجاهد التركستانى

من العلماء المسلمين الذين ولدوا فى آسيا الوسطى «تركستان الغربية» وكان له إسهام كبير فى حركة الجهاد الإسلامى المعاصر ضد حكام روسيا الشيوعية ، ودعا إلى الوحدة الإسلامية .

ولإبراز أهم معالم فكره الإسلامى ، ودوره الإسلامى المعاصر ، خصص له هذا المبحث .

حياته وكفاحه[٣٥] :

ولد العلامة أبوالنصر مبشر الطرازى بالتركستان الغربية فى السابع والعشرين من رجب عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦/١٢/٢٠ م) ، وأتم تعليمه الابتدائى بمدينة «طراز» مسقط رأسه ، وتلقى تعليمه الثانوى بمدينة طشقند ثم بخارى ، وعاد إلى بلدته ليبدأ كفاحه ضد الاحتلال

---

(٣٥) انظر : د. محمد نور الدين عبدالمنعم ، « العلامة الطرازى المجاهد التركستانى » ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » ، جامعة الأزهر ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد الخامس ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

ـ أنظر أيضاً : د. حسين مجيب المصرى : « صراع بين الضلالة والهدى التركستانى » ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » ، جامعة الأزهر ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد الثالث ، ص ٢٦٣ ـ ٢٧١ .

ـ أنظر أيضاً : د. زكية عبدالحميد الشربينى ، « أبو النصر مبشرالطرازى الحسينى وكتابة الجندية فى الإسلام » ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ المجلد السادس ، ص ١١٩ ـ ١٢٥ .

الروسى الشيوعى وحركة الإلحاد لمدة اثنى عشر عاما ، وذلك بتشكيل اتحاد الطلبة التركستانيين عام ١٩١٧ م ، وأخذ يحارب الإلحاد ويرد على ماكتبه الملحدون ؛ فقبض عليه وصودرت جميع مؤلفاته التركية والفارسية والعربية ، والمعروف أنه تولى القضاء الشرعى عام ١٩٢٣ م ورئاسة الإدارة الدينية بمدينة «طراز» عام ١٩٢٤ م ، إلا أنه اضطر للاستقالة منها لتدخل الروس فى شئون تطبيق الشريعة الإسلامية وإصرارهم على غلق المدارس الابتدائية التى فتحها الطرازى للتعليم الدينى .

وقد احتل الروس الإمارات الإسلامية الثلاث بالتركستان (خيوة وخوقند وبخارى) من سنة ١٩١٨ – ١٩٢١ م ، وقسموها إلى ست جمهوريات هى : أوزبكستان وكازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان وقره قالباق ، وضموها إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عام ١٩٢٣ م جبراً وقهراً ، وسميت هذه الجمهوريات بجمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بدلا من تركستان حيث تم إلغاء الاسم رسميا عام ١٩٢٤ م .

قاد العلامة الطرازى شعب تركستان ، وبدأت حركة المقاومة الشعبية واستمرت لمدة خمسة عشر عاماً ، ضحت فيها تركستان بأرواح خمسة ملايين شهيد فى ميدان الجهاد والتضحية ، وخمسة ملايين تم نفيهم إلى معتقلات سيبريا ، ونحو ثلاثة ملايين تركوا ديارهم مهاجرين فى سبيل الله ، واضطر الطرازى للهجرة إلى أفغانستان فى ذى القعدة سنة ١٣٤٨ هـ – أبريل ١٩٣٠ م ، بعد أن سجن ثلاث مرات

ونفى مرة ، واستقبله شعب أفغانستان بمدينة (أندخوى) الوقاعة على الحدود الأفغانية الروسية بالترحاب ، كما استقبلته الحكومة الأفغانية بكل تقدير وإعجاب ، وعين مدرساً للعلوم العربية والدينية ثم مديراً عاماً لدار التأليف والترجمة بالديوان الملكى ، استقر العلامة الطرازى فى «كابل» عاصمة أفغانستان من سنة ١٩٣١ م وحتى ١٩٤٣ م ، وقد أجبرت روسيا أفغانستان على اعتقاله وعدد كبير من كبار رجالاته فى أبريل سنة ١٩٤٣ م ، وظل بالمعتقل السياسى خمس سنوات وشهر وثلاثة أيام إلى أن أفرج عنه ، وبعد سنة من الإفراج عنه توجه إلى مصر فى ٢٤ سبتمبر ١٩٤٩ م ، وعومل فى مصر معاملة كبار اللاجئين السياسين ، إذ رتبت له حكومة مصر مرتبا شهريا وأكرمته ، واستقر بالقاهرة وأخذ يعمل لصالح بلاده ، فأصدر فى القاهرة ـ هو وإخوانه التركستانيون ـ مجلتين هما : «صوت تركستان» باللغة العربية و«تركستان» باللغة التركية ، وأخذ يواصل جهاده من داخل مصر من أجل قضية بلاده ، وهو من المنادين بالوحدة الإسلامية ، إذ يعتبرها الحل الأوحد لمشاكل المسلمين سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، وكان شغله الشاغل توحيد صفوف المناضلين من أجل إنقاذ تركستان من براثن الاستعمار ، وهو يدعو إلى ذلك فى مؤلفاته مثل كتاب : «إلى الجندية أيها العرب» ، وكتاب «الإسلام الدين الفطرى الأبدى» ، و«مثنوى تذكار السجن» أو «مرآة الدنيا» وهو يحث فى مؤلفاته على نبذ الخلاف بين السنة والشيعة ، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر حرصاً على الوحدة الإسلامية .

وهو يستند فى آرائه واقتراحاته بشأن إمكانية الاتحاد فى الأمة الإسلامية الواحدة ، على ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن نجاة المسلمين ونجاحهم وسعادتهم مرتبطة بتمسكهم بهما وبما فيهما من التعاليم الحكيمة[٣٦] ، فقد قال الرسول ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتى»[٣٧] .

ويرى الطرازى أن المسلمين أصبحوا فى الأونة الأخيرة ضعفاء إيماناً وعلماً وعملًا وقوة ، لأنهم لايطبقون تعاليم الإسلام تطبيقاً كاملا فى أفعالهم وأقوالهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم ، فالسبب الرئيسى فى ضعف المسلمين إيماناً هو أنهم يخافون الموت ، ونسوا فكرة الجهاد ، وكان السلف الصالح لايخافون الموت ، ولذلك جاهد أجدادنا الأوائل بكل نفيس وغال فى سبيل الله .

والسبب فى ضعف المسلمين علماً هو أنهم أهملوا البحث والتحقيق فى علومهم العربية والإسلامية وبالغوا فى الاهتمام بعلوم أوربا الحالية ، وتناسوا تراثهم وتاريخهم ومسئوليتهم أمام أمتهم العظيمة .

والسبب فى ضعف المسلمين عملا هو أنهم تجاهلوا الإخلاص والجد والمثابرة ، وأمسوا يحبون الدنيا وزخارفها الغانية ، فقصروا فى أداء الواجبات نحو شعوبهم وأوطانهم فى المجالات المختلفة .

---

(٣٦) أنظر : د. عبدالله مبشر الطرازى ، من علماء الإسلام فى تركستان سماحة الشيخ مبشر الطرازى ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » ، جامعة الأزهر ٢٨ ــ ٣٠ سبتمبر ، المجلد الخامس ص ١٩٤ ــ ١٩٩ .

(٣٧) رواه الإمام البخارى .

وأما السبب فى ضعف المسلمين قوة ، فهو أنهم ضعفوا فى قوتهم الخلقية ، ولذلك فقدوا الكثير من المقومات الروحية ، كما ضعفوا فى قوتهم المادية لعدم استفادتهم من الخبرات الموجودة فى بطون الأرض استفادة صحيحة فى سبيل رفاهية شعوبهم الإسلامية ، والقيام بالتصنيع بأنفسهم للدفاع عنه كيانهم وبلادهم العزيزة .

وبعد ذلك يدعوا سماحة الطرازى المسلمين إلى الاتحاد الإسلامى ، ويقول إنّ عليهم أن يجتهدوا ليتحدوا فى الرأى والعمل حتى يصيروا أقوياء كما كانوا من قبل ، بفضل تمسكهم بتعاليم الإسلام .

ويبين أركان الاتحاد كالأخوة والمحبة والوحدة وعدم التفرقة والاحترام والتعاون والمساواة بين المسلمين ليعيشوا متحدين متكتلين فى ظل القرآن الكريم دستورهم المقدس ، ومابنى على أساس منه من الأحكام والقوانين[38] .

حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[39] .

(٣٨) انظر سماحة الطرازى ، إلى الدين الفطرى الأبدى ، ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣٩) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[40] ويقول الرسول ـ ﷺ :

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[41] . ويقول أيضا : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[42] .

ولما كان الإسلام يريد أن تسود الوحدة بين عامة المسلمين ؛ فقد نهى عن كل تصرف يؤدى إلى التفرقة بين المسلمين .

وتوفى العلامة الطرازى ـ رحمه الله ـ بعد حياة حافلة بالكفاح والجهاد ظهر يوم الاثنين الثالث من ربيع الأول عام ١٣٩٧ هـ الموافق ٢١ من فبراير ١٩٧٧ م وقد بلغ الثالثة والثمانين من عمره .

---

(٤٠) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

(٤١) رواه البخارى ومسلم .

(٤٢) رواه البخارى ومسلم .

المبحث الثالث

علاقة التأثير والتأثر بين اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما

أولا : أثر اللغة الفارسية فى نقل الثقافة الإسلامية :

وصلت الثقافة الإسلامية إلى الشعوب التركية فى آسيا الوسطى على أيدى شيوخ وعلماء من إيران ، إذ كان هناك سوق رائجة للغة الفارسية فى تلك المناطق منذ عهد السامانيين . وزاد من رواج اللغة الفارسية عناية السامانيين المسلمين بها ، فصارت اللغة الرسمية فى قصورهم إلى جانب العربية لغة القرآن والدين . وعهدوا إلى فريق من علمائهم نقل بعض الكتب العربية إلى اللغة الفارسية ، وسرعان ما غُمِرَت قصور حكام الترك ـ سواء فى غزنه أو بخارى أو سمرقند أو خوارزم أو غيرها من المدن التركية ـ بأهل الثقافة الإسلامية الفارسية وشعرائها وأدبائها .

ونقل مسلمو آسيا الوسطى ـ ضمن ما نقلوه معهم إلى المناطق التى استقروا فيها ـ اللغة الفارسية ، تلك اللغة التى انتشرت فى بلادهم منذ سيطرة السامانيين على إقليم ماوراء النهر وأفغانستان وخراسان منذ أواسط القرن الثالث الهجرى حتى أواسط القرن الخامس ، فتم إرساء الأدب الفارسى وأخذ شكله الحالى .

كما أنه نتيجة فتوحات الغزنويين والسلاجقة ، واتخاذهم اللغة الفارسية لغة رسمية لهم سيطرت الفارسية فى المشرق الإسلامى ،

وأصبح إقليم ما وراء النهر منطقة خصبة لتربية الشعراء والكتاب ، حتى بعد زحف اللغة الفارسية غرباً إلى العراق العجمى وأذربيجان . ولا يزال الكثير من النقاد ـ حتى الآن ـ يستخدمون مصطلح « سبك تركستانى » ، أى : أسلوب الشعر نتاج التركستانيين بدلا من « سبك خراسانى »[٤٣] .

أى أن مسلمى أهل المشرق عامة من ترك وهنود وإيرانيين وأفغان وغيرهم ـ خاصة أهل تركستان ـ اتخذوا من اللغة العربية لغة العلم ، والفارسية لغة الأدب ، حيث تأصلت عندهم اللغة الفارسية حتى أصبحت سلسة ، بحيث أنهم عندما شرعوا ينظمون الأشعار ويدونون الكتب بلغتهم التركية اتخذوا من شعراء وكتاب الفارسية أساتذة لهم وقلدوهم فى إنتاجهم .

ثانيا : الأثر العربى فى شعر بلاد ما وراء النهر :[٤٤]

لقد اهتم السلاجقة بدراسة الدين والعلوم والتصوف ، وازدهرت الحياة الفكرية والثقافية فى عهدهم إزدهاراً كبيراً ، واختاروا وزراءهم ممن يجيدون اللغتين العربية والفارسية أمثال « عميد الملك »[٤٥] كما أن السلاجقة قد تقربوا من الخلافة العباسية فى بغداد ـ المركز الدينى

---

(٤٣) انظر د. عبدالسلام عبدالعزيز فهمى ، « شخصية إسلامية من آسيا الوسطى على شيرتوان » مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ـ المجلد السادس ، ص ٦٦ .

(٤٤) د. محمد يونس ، « الأثر العربى فى شعر بلاد ما وراء النهر فى القرن السادس الهجرى » ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد السادس ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤٥) د. عيسى صديق ، تاريخ فرهنك إيران ، ص ١٢٧ .

الروحانى للعالم الإسلامى فى ذلك الوقت ويتم عن طريقه ايجاد الربط بين الممالك الإسلامية ـ ومالوا إلى العالم السنى حتى أنهم كانوا يحرصون فى اعتلاء العرش على الظفر بموافقة الخلفاء العباسيين على توليهم مناصبهم حتى يكتسبوا الصفة الشرعية ، وكان الخلفاء لضعفهم يمنحون موافقتهم لمن غلب[٤٦] ونتج عن ذلك كله أن نقل السلاجقة الكثير من الكتب العربية ـ لغة الدين والعلوم ـ من بغداد إلى إيران ، فحدث نوع من الوحدة الثقافية بين الممالك المذكورة ، وامتزج الأدب الفارسى بالعناصر العربية التى دخلته وأخذت تتغلغل وترسخ فيه نتيجة انتقال العلماء والمدرسين والخطباء والشعراء والوعاظ ، وكانوا موضع احترام[٤٧] ، ونتج عن ذلك « حفظ الشعراء الفرس لمتون الأدب العربى وحاجتهم إلى العديد من الكلمات لتبيان أفكارهم وموضوعاتهم والتمكن من قوافيهم ، بالإضافة إلى تقليد الكتاب والناثرين الفرس للعرب مما أوجد فى لغتهم قدراً من الاصطلاحات والعبارات والعديد من الكلمات العربية »[٤٨] أضف إلى هذا أن امتلأ أدب هذه الفترة بالمحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والكنايات التى انتقلت مصاحبة للعناصر العربية ، حتى طغت على أشعار هذه الفترة[٤٩].

كما أن نقل لغة ديوان الرسائل الفارسية إلى العربية ـ فى عهد الغزنويين من قبل ، كان له دور مساعد على ذلك فى عهد السلاجقة .

(٤٦) د. عبدالمنعم حسنين ، سلاجقة إيران ، ص ١٦٢ .

(٤٧) د. عيسى صديق ، تاريخ فرهنك إيران ، ص ١٢٧ .

(٤٨) ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات ٢/٣٢٨ .

(٤٩) د. عبدالنعيم حسنين ، نظامى الكنجوى .

وكانت هناك عوامل أخرى ساعدت على انتشار النفوذ العربي تتمثل في انتشار ظاهرة الهجاء بين شعراء السلاجقة عامة وإقليم ما وراء النهر خاصة في هذه الفترة نتيجة للصراعات السياسية والمذهبية[٥٠] من ناحية ، وشيوع فساد الأخلاق ونفوذ الأدب العربي[٥١] من ناحية أخرى ، وقد شاهد هذا الفن الشعرى في العصر العباسي طفرة كبيرة على يدى الشاعر العربي العباسي الفذ « ابن الرومي » وفي بلاد ما وراء النهر كان الشاعر الهزلي الهجاء الكبير « السوزني السمرقندي » إمام هذا الفن في هذه الفترة ، ولا شك أن « السوزني » هذا ـ وهو يتقن العربية ـ قد اطلع على هجائيات « ابن الرومي » واستفاد منها ، وقد أشار « هرمان اته » إلى هجائيات « السوزني » و« حميد الدين »[٥٢] وهم جميعاً من شعراء هذه الفترة بإقليم ما وراء النهر[٥٣] .

عامل آخر ساعد على نفوذ الأدب العربي هو أن حضارة إيران في هذا العصر كانت جزءاً من الظاهرة الحضارية الأوسع ، وهي الحضارة الإسلامية التي كانت تتسم بالوحدة في كل أجزاء العالم الإسلامي ، وساعد هذا على انتشار حركة الترجمة من العربية إلى الفارسية ولهذا اتسع أفق الفكر الإسلامي في عهد السلاجقة إتساعاً كبيراً ، فقد كانت ملكات المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التي نشطت في الدولة العباسية ، وكثرة

(٥٠) مهدى توحيدى بور ، كلهاى جاريدان دربوستان أدب إيران ، ص ٢٦ .

(٥١) زين العابدين مؤتمن ، تحول شعر فارسى ، ص ١٤٢ .

(٥٢) هرمان اته ، تاريخ أدبيات فارسى (الترجمة الفارسية) ، ص ١١٧ .

(٥٣) زين العابدين مؤتمن ، مرجع سابق ص ١٤٢ .

تنقل رجال العلم والأدب فى مشارق العالم الإسلامى ومغاربه فى ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية ، فنشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة(٥٤) . وأدى هذا كله إلى التأثير العظيم للأدب العربى فى أدب العصر السلجوقى عامة وما وراء النهر خاصة فى هذه الفترة ، ويدل على ذلك كثرة استخدام شعرائها للألفاظ العربية ، وانتشار الصنائع البديعية وفنون الفصاحة والبلاغة المختلفة لدى البعض ، وكانوا يهدفون من إستخدامها إلى تحسين كلامهم .

ثالثاً ـ نهر جيحون وأثره فى الشعر الفارسى :

لقد وجدنا الشعر الفارسى الذى ذكر فيه نهر جيحون يدور حول ثلاثة محاور رئيسية هى : شعر الوصف ، وشعر الحرب ، والشعر الصوفى .

وهذه المحاور تتفق فى اتخاذ نهر جيحون المادة الشعرية ، التى تدور حولها الأشعار ولكنها تختلف من حيث الشكل ، فمنها المثنوى والرباعى(٥٥) .

١ ـ شعر الوصف :

لقد كان نهر جيحون دائماً محركاً لأخيلة الشعراء مثيراً لعواطف الحكام والقادة .

---

(٥٤) د. عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة إيران ، ص ١٩٢ .

(٥٥) د . عفاف زيدان ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

٢ ـ شعر الحرب :

هذا النوع من الشعر انقسم إلى نوعين :

(أ) شعر الحرب بين إيران وتوران فى شاهنامة الفردوسى (ت ٤١١ هـ) وكان مسرح هذه الحرب دائماً نهر جيحون .

(ب) شعر الحرب بين السلطان محمود الغزنوى وخانات التركستان ويمثل هذا النوع من الشعر :

« العنصرى » (المتوفى عام ٤٣١ هـ) .

والفرخى (المتوفى عام ٤٢٩ هـ) .

وهما أبرز شعراء السلطان محمود الغزنوى[٥٦] .

٣ ـ الشعر الصوفى :

سطعت وتلألأت سماء الحياة الروحية فى بلاد ما وراء النهر بأنوار كثيرة من الرجال الذين أحبهم الله فأحبوه، ورادوا الطريق وعبدوه ووضعوا الأسس والدعائم ، وهم كثرة كاثرة ، عد منهم « السلمى » فى الطبقة الأولى :

ـ الفضل بن عياض: وقد ولد فى سمرقند .

ـ إبراهيم بن أدهم: وهو من بلخ .

ـ بشر الحافى: وهو من أهل مرو .

---

(٥٦) د . عفاف زيدان ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وفى الطبقة الثانية عد « السلمى » منهم :

ـ شاه الكرمانى وهو من مرو .

ـ محمد بن على الترمذى الشهير بالحكيم الترمذى .

ـ أبو بكر الوراق وهو من ترمذ .

ويذكر مؤرخو الأدب الفارسى أن الصوفية العظام الذين كتبوا المثنويات ثلاثة أولهم : سنائى وقد ولد فى بلخ ، وثانيهم : فريد الدين العطار ، أما ثالثهم فهو جلال الدين الرومى وقد ولد فى بلخ .

ونخلص من هذا إلى أن التصوف فى بلاد ما وراء النهر عنصر أصيل فى الحياة ، فقد ساهم أهل هذه البلاد بنصيب وافر فى إثرائه وإرساء دعائمه ، ولهذا لا نعجب أن يذكر اسم النهر فى كثير من التراث الشعرى الصوفى ، خاصة وأن النهر يلعب دوراً رمزياً كبيراً فى التعبير عن الحقيقة الصوفية ، وعن أسرار الحب الإلهى والفيض الربانى والمعرفة السرمدية(٥٧) .

ومجمل القول أن النهر والبيئة إلهاماً لكثير من عيون الشعر ، وفى الوقت نفسه أسهمت هذه البيئة فى خلق وصنع شعراء كانوا رواداً لحركة الشعر الفارسى فى جميع العصور وهم على سبيل المثال لا الحصر :

الرودكى السمرقندى : وهو من شعراء السامانين فى القرن الرابع الهجرى ، وأبو طاهر الخسروانى : وهو من شعراء القرن الرابع الهجرى كذلك فى بلاط السامانين .

---

(٥٧) د . عفاف زيدان ، المرجع السابق ، ص ٢٩ — ٣٠ .

الدقيقى : المتوفى فى عام ٣٦٨ هـ وقد عاش فى بلاط آل محتاج فى صغانيان ببلاد ما وراء النهر .

منحيك الترمذى : وهو من شعراء أواسط القرن الرابع الهجرى وقد عاش فى بلاط صغانيان ، الصغانيانى .

لبيبى : وهو أحد الشعراء المشهورين فى أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس ، وقد اتجه فى البداية إلى مدح أمراء صغانيان(٥٨) .

عمعق البخارى : وهو من الشعراء المشهورين فى بلاد ما وراء النهر وكان يعيش فى بلاد أيلك خان « آل أفراسياب » وكانت وفاته بين عامى ٥٤٢ ، ٥٤٣ هـ .

أديب صابر الترمذى : وقد عاش فى بلاد سنجر السلجوقى ثم انتقل إلى بلاد أتز وقد أغرق فى نهر جيحون عام ٥٤٦ هـ .

سوزنى السمرقندى وكان مداح الإيلخانيين فى بلاد ما وراء النهر وكانت وفاته عام ٥٦٢ هـ .

ثم نظامى الكنجوى : وكانت وفاته ٥٧٦ هـ أو ٦٠٦ هـ

وقد قامت على أكتاف هؤلاء الشعراء جميعاً نهضة الشعر الفارسى ووضع أسسه وقواعده .

وقد ظلوا أساتذة لمعاصريهم ، وكذلك على طول العصور لمن جاء من بعدهم ، وسيظلون كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها(٥٩) .

---

(٥٨) د . عفاف زيدان ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٥٩) د . عفاف زيدان ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

المبحث الـــرابع

نشأة الخط القرآنى وانتشاره فى آسيا الوسطى والقوقاز[٦٠]

يعتبر الخط العربى بحق تجسيداً حقيقياً للحضارة العربية الإسلامية ، ومن ثم كان موضوعه شاملا ومن المتعذر الإلمام به إلماماً كاملًا ولو اجتمع لذلك أولوا العلم وأهل الفن ، بل إنه ليتعذر استيفاء جانب واحد من جوانبه ، والحق أن كثيراً من علماء المسلمين وغير المسلمين قد عنوا بدراسة الخط العربى ، وكتبوا بحوثاً كثيرة فى هذا المجال .

ومنذ صدر الإسلام ظهرت العناية بالخط العربى وتيسير قراءته وكتابته ـ وبخاصة ـ كتابة القرآن الكريم وذلك فضلًا عن تطوير هذا الخط إلى فن جميل وحين كان ينزل القرآن الكريم على النبى ﷺ كان يقرؤه على الكتاب من الصحابة ، فيدونه كل منهم مباشرة على ما كان يتيسر لديه من عسيب وعظم وشقف ولخاف وأدم وغير ذلك ، وهكذا دون القرآن الكريم منذ نزوله ، وظلت هذه المدونات محفوظة لدى كاتبيها إلى خلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ الذى أمر بجمع القرآن بين دفتين من واقع هذه المدونات وبمعرفة الحفظة . وقد أطلق على هذا القرآن المدون والمجموع بين دفتين اسم المصحف .

(٦٠) د . حسن الباشا ، « نشأة الخط القرآنى وانتشاره على آثار آسيا الوسطى » ، مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » جامعة الأزهر ، ٢٨ – ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ .

وفى خلافة سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ نسخ من مصحف سيدنا أبى بكر عدة نسخ وزعت على الأمصار وعرف مصحف عثمان باسم المصحف الإمام ، ويوجد ـ حالياً ـ فى بعض الأقطار مصاحف تنسب إلى ـ عثمان ـ رضى الله عنه ..

(لوحة تمثل صفحة من مصحف ينسب إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه محفوظ فى طشقند) شكل (١) .

وكان المصحف الإمام خالياً من الإعجام والإعراب مما كان يؤدى بالبعض ـ ولا سيما من غير العرب ـ إلى اللحن فى القراءة ؛ مما دفع أبا الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ/ ٨٦٦م) ـ بتوجيه من على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن يبتكر بالكوفة علامات للإعراب ، وكانت هذه العلامات عبارة عن نقط بلون أحمر أى : مختلف عن لون الكتابة وكانت النقط فوق الحرف علامة على الفتحة ، وتحته علامة على الكسرة ، وأمامه علامة الضمة ، ونقطتين أحداهما فوق الأخرى علامة على التنوين .

وإذا كان هذا الابتكار قد حل بعض المشكلات ؛ لتيسير قراءة القرآن الكريم من حيث الإعراب ، فقد ظلت هناك مشكلة أخرى وهى مشكلة الإعجام أى : مشكلة التفريق بين الحروف المتشابهة شكلا والمختلفة لفظاً مثل الباء ، والتاء ، والثاء ـ الجيم ، والحاء ، والخاء ـ الدال ، والذال .... إلخ .

وقد سبب ذلك ـ أيضاً ـ بعض التصحيف فى القراءة مما دفع

الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق (٧٥ ـ ٨٥ هـ/ ٦٩٤ ـ ٧١٣ م) إلى تكليف نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ/ ٧٧ م) ويحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ/ ٨٠٨ م) بابتكار طريقة للتمييز بين هذه الحروف ، واستطاع هذان العالمان التمييز بين الحروف عن طريق شرط صغيرة رفيعة بنفس لون الكتابة : فيميز الباء مثلا بعلامة تحتها ، والتاء بعلامتين فوقها والثاء بثلاث علامات فوقها ... إلخ .

(لوحات توضح الكتابة حسب طريقتى أبى الأسود الدؤلى ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر) .

(صفحة من مصحف من الورق به علامات إعجام وإعراب حسب الأسلوب المبكر) شكل (٢) .

ثم حدث تطور آخر فى العراق ـ أيضاً ـ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م) حين استبدل بشرط الاعجام نقطا ، واستبدل بنقط الإعراب علامات مستمدة فى معظمها من أشكال الحروف العربية . وكان فى ابتكار طريقة الخليل بن أحمد تيسير كبير فى القراءة والكتابة ولا تزال هذه الطريقة مستعملة حتى الوقت الحاضر .

وهكذا أخذ خط المصاحف فى العراق شكله الموحد الذى بقى حتى اليوم ، كما استخدم نفس الأسلوب فى سائر أنواع الكتابات .

هذا من حيث التطور الموضوعى للخط القرآنى ، وقد بدأ هذا التطور فى مدينة الكوفة ، لذا ، أطلقوا على الخط العربى بعامة فى بدايته اسم الخط الكوفى ثم أطلق هذا المصطلح فيما بعد على النوع الجاف أو المزوى من هذا الخط .

ثم حدث فى الخط تطور آخر حقق له الجمال الفنى ، وكان هذا الخط العربى أو الكوفى ـ حسب تسمية المؤلفين العرب الأقدمين ـ ينقسم إلى نوعين أحدهما أميل إلى الليونة والتقوير والثانى أميل إلى التزوية والبسط ، وكان النوع الأول أكثر استخداماً فى الكتابات الأثرية والتذكارية .

وكان من اليسير تجويد النوع الثانى أى المزوى والمبسوط الذى ـ انفرد فيما بعد ـ باسم الخط الكوفى ؛ ذلك أنه يتألف من مستقيمات وزوايا يسهل تنسيقها ، ومن ثم اختص هذا الخط بكتابة المصحف طوال القرون الخمسة الأولى تقريباً ، ووصلنا من هذا الخط كتابات منسقة ترجع إلى القرن الأول الهجرى مثل نقوش قبة الصخرة وأميال عبد الملك بن مروان .

كما أن ما وصلنا من مصاحف تنسب إلى القرن الأول والثانى والثالث بعد الهجرة (٧ ـ ٨ ـ ٩ م) توضح ما حققة هذا الخط منذ القرن الأول الهجرى من تنسيق وإتقان .

أما النوع الآخر من الخط العربى أو الخط المقور الذى عرف باسم خط النسخ ؛ نظراً لاستخدامه فى نسخ الكتب ، فقد ظل دون تجويد يذكر حتى أواخر القرن الثالث الهجرى حين تصدى لهذه المهمة خطاط عبقرى هو محمد بن على بن مقله فوضع لحروفه ميزاناً ضبط به بين أشكاله : إذ نسب كل الحروف إلى الألف التى اتخذها مقياسا أساسيا

وحدد طولها بعدد النقط أى أنه ناسب بين طولها وعرضها وناسب بين سائر الحروف[61] .

هذا وقد عكف كثير من الخطاطين فى العراق على تحسين الخط المقور أو النسخ وكان من أهمهم على بن هلال المعروف بابن البواب (ت ٤١٣ أو ٤٢٣ هـ/ ١٠٢٢ أو ١٠٣٢م) وقبلة الكتاب ياقوت المستعصى (ت ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٨م) .

وبفضل هؤلاء الخطاطين وصل الخط المقور درجة عالية من الإتقان والجمال بحيث استحق أن يدون به القرآن الكريم ، ومن ثم أخذ ينافس الخط الكوفى فى هذا المضمار حتى كاد أن ينفرد بكتابة القرآن الكريم منذ القرن (٦ هـ/ ١٢م) ، وفى تلك الفترة وما بعدها تفرع من هذين النوعين من الخط العربى أنواع كثيرة تفوق الحصر ، واختلفت أساليبه باختلاف المكان والزمان والخطاطين ، بل وباختلاف المواد التى استخدم فيها من ورق ومعدن وخزف ونسيج وغير ذلك .

ومع ذلك فقد سادت أساليب من الخط العربى بنوعيه المزوى والمقور يمكن أن نطلق عليها صفة الأصالة : ففى مجال الخط المزوى أو الكوفى نجد الكوفى القديم والزخرفى والمورق والمزهر والمربع والمضفر والمعمارى .

أما الخط المقور فقد تفرع منه عدة خطوط أهمها النسخ والثلث

---

(٦١) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ٣ ص ١٣ .

والمحقق والريحانى والتعليق والرقعة والديوانى والشكسته والهمايونى والاجازة .

وانتشر الخط العربى وبخاصة الخط القرآنى سواء بالخط الكوفى أو المنسوب (النسخ) مع الإسلام واللغة العربية شرقاً وغرباً . وانتشر شرقاً إلى إيران والهند وأفغانستان وآسيا الوسطى حتى وصل إلى الصين .

ومن مثلة الخط الكوفى فى وسط آسيا :

نقش قرآنى بضريح شاه فاضل من الداخل بجمهورية قرغيزيا من القرن السادس الهجرى (١٢ م) شكل (٤) .

ومن أمثلة الخط النسخ فى إيرانى :

مصحف بخط عبد الله بن محمد الهمدانى كتبه للسلطان الايلخانى أو لجايتو سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٣ م بالخط الثلث الريحانى شكل (٥) .

كما وجد فى إيران والهند وباكستان وبعض المناطق الملحقة بها مصاحف بخط النستعليق ومن أمثلتها :

صفحة من مصحف بخط النستعليق كتبه شاه محمود النيسابورى سنة ٥٨٦ هـ / ١٥٦٠ م محفوظ بمكتبة جامعة استانبول شكل (٦) .

ووصلنا من وسط آسيا كتابات قرآنية كثيرة على الآثار بالخط الثلث منها :

نقش بمحراب مسجد بلند فى بخارى يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (١٦ م) شكل (٧) نقش ببوابة ضريح بيان قلى خان فى بخارى يرجع إلى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م شكل (٨) نقش فى بوابة شاه زنده بسمرقند

(ضريح شيرين) سنة ٧٨٧هـ/ شكل (٩) نقش بالمدخل الرئيسى لمسجد بى بى خانم بسمرقند سنة ٨٠٢ ـ ٨٠٧هـ/ ١٣٩٩ ـ ١٤٠٤م) شكل (١٠) .

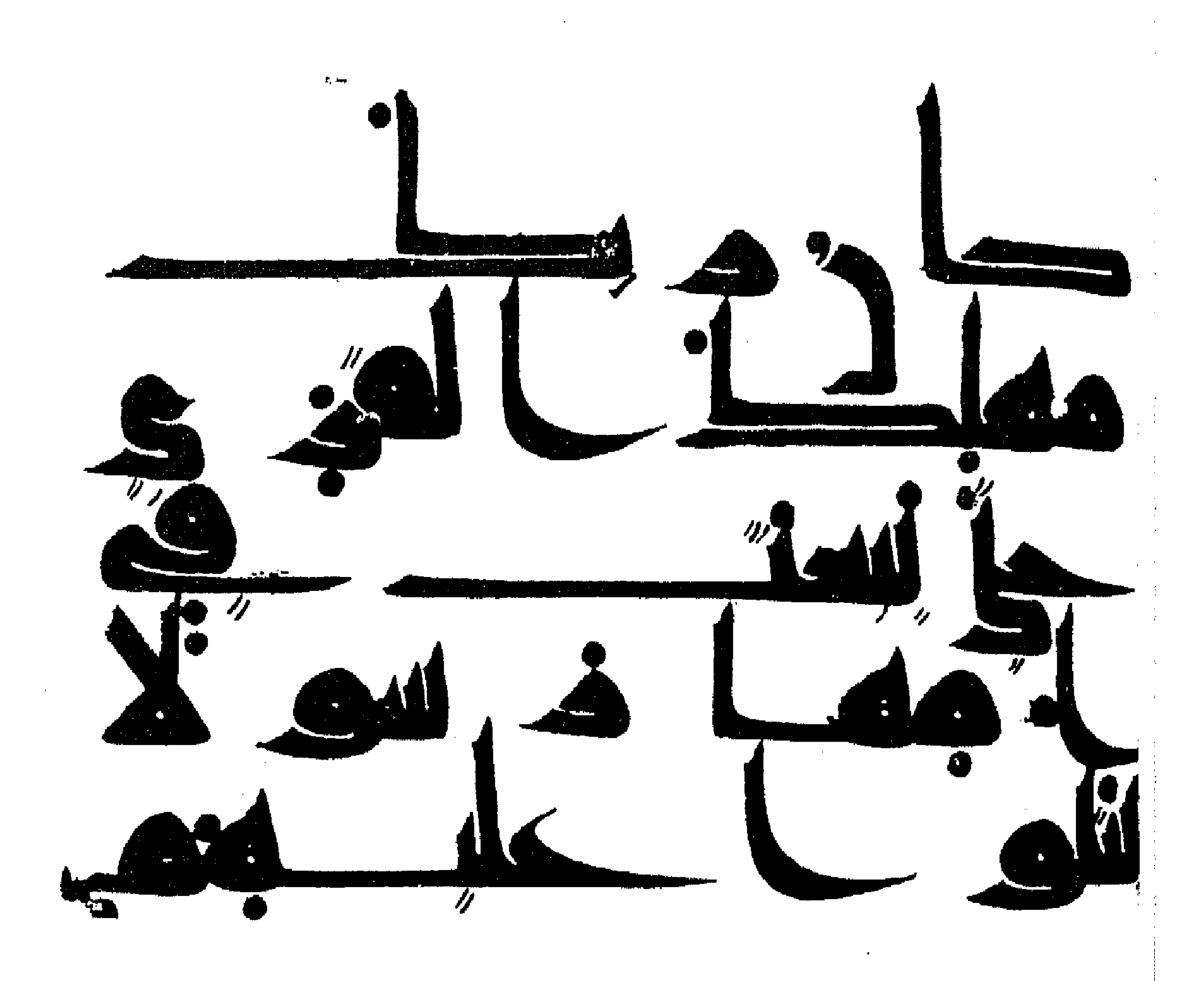
وبالإضافة إلى هذه الخطوط الأصيلة استخدمت بعض الشعوب فى الكتابات القرآنية خطوطاً ذات طابع محلى مستمدة من خطى النسخ والثلث ، ومن أمثلة هذه الخطوط خط بهار الذى استخدم فى كتابة بعض المصاحف فى الهند وباكستان وأفغانستان ومناطق أخرى مرتبطة بها حضارياً .

ومن أمثلتهامن الخطوط ذات الطابع المحلى :

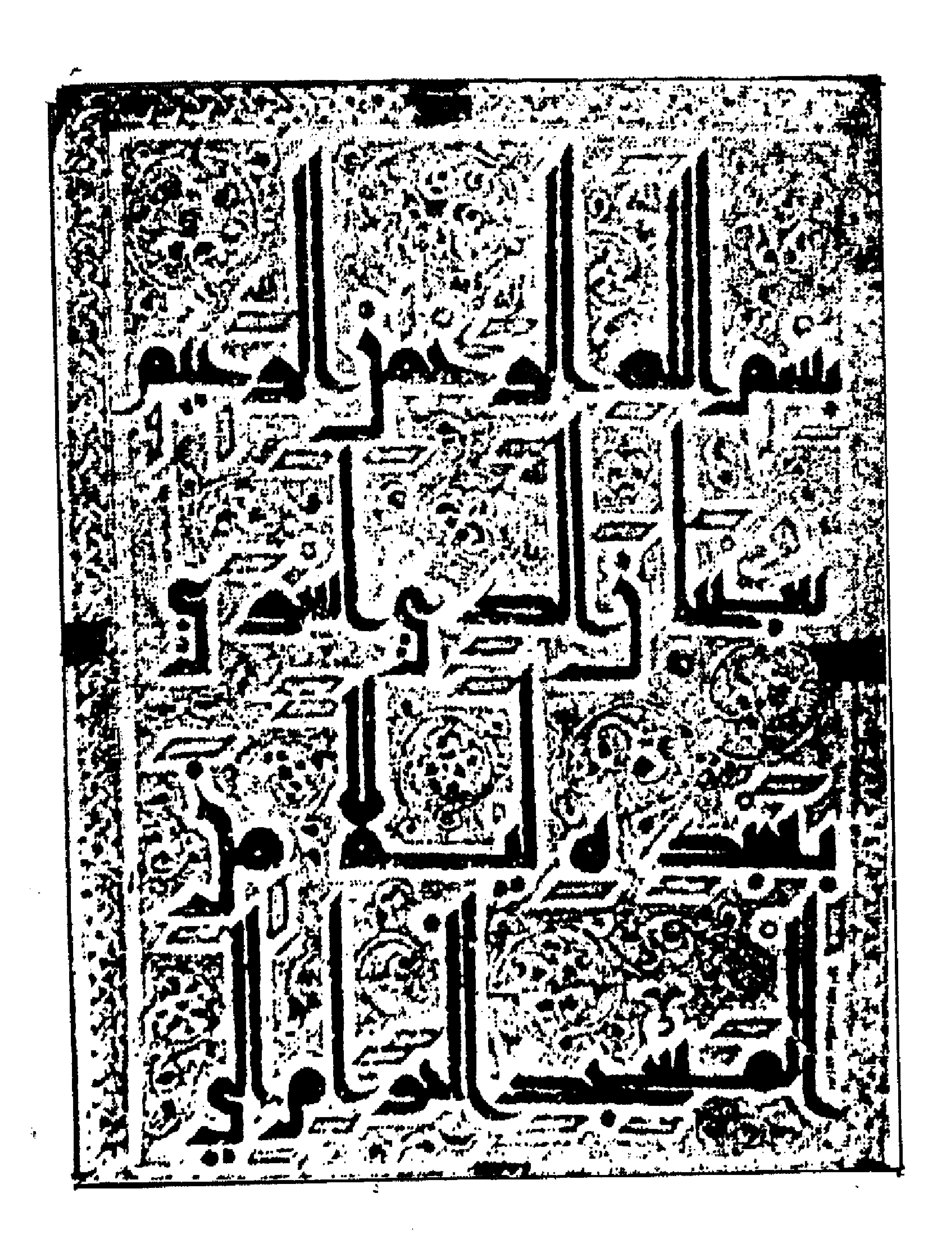
نقش من كيتاهار مؤرخ سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م) (بالبنغال) شكل (١١) .

نقش قدم رسول مؤرخ سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م من مزار قدم رسول فى غور (بالبنغال) شكل (١٢) .

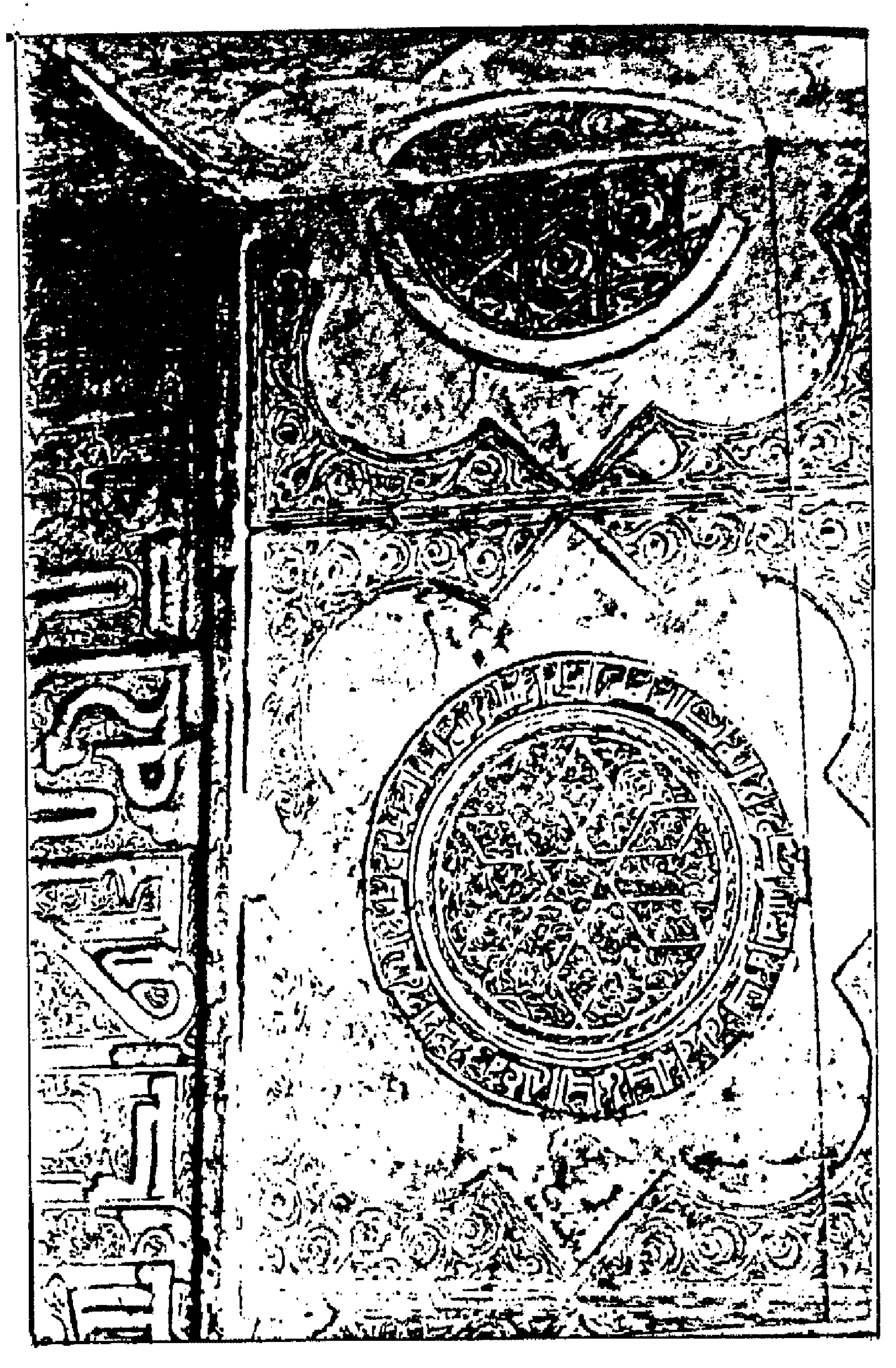
شكل (١)



شكل (٢)


بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى

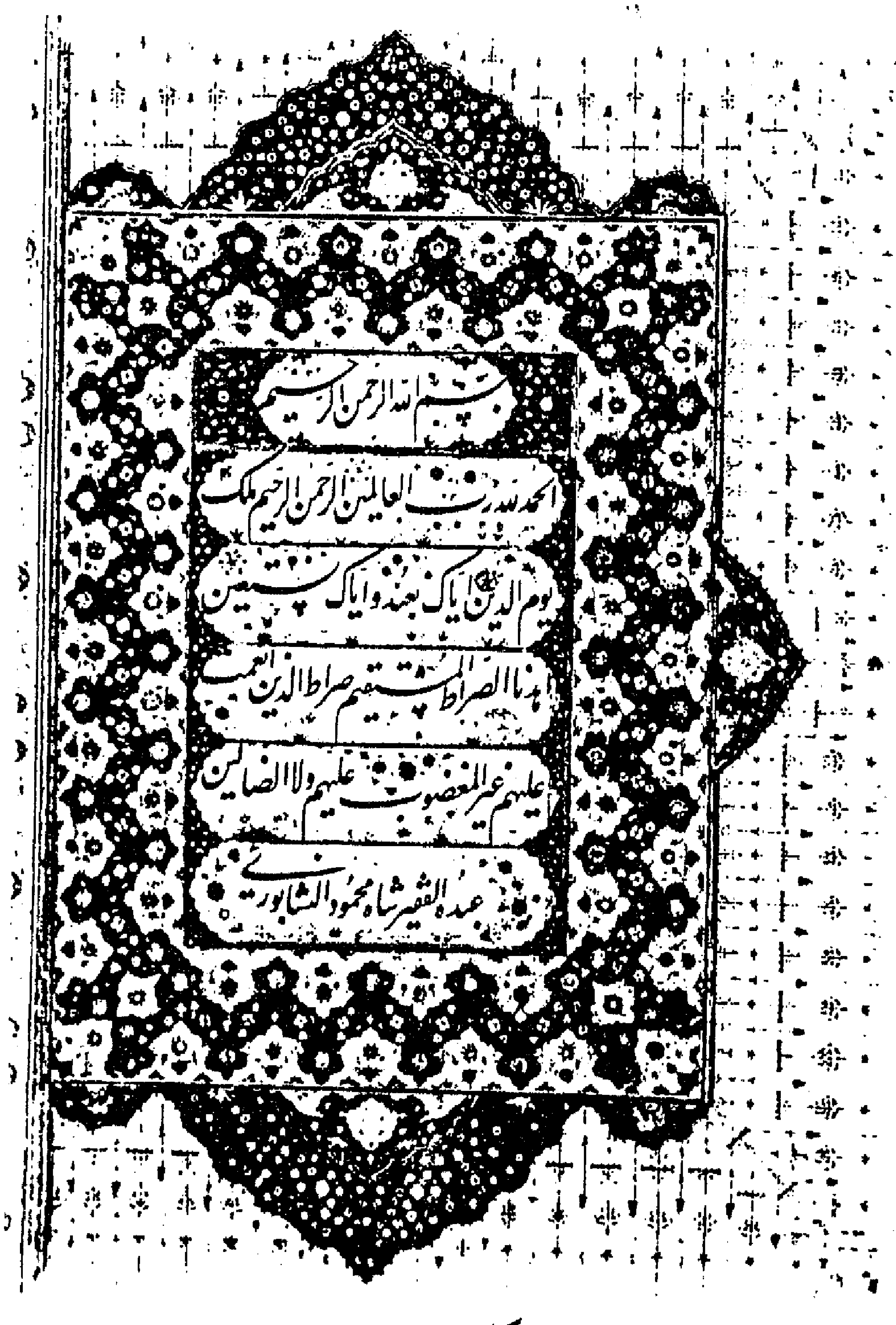
شكل (٣)



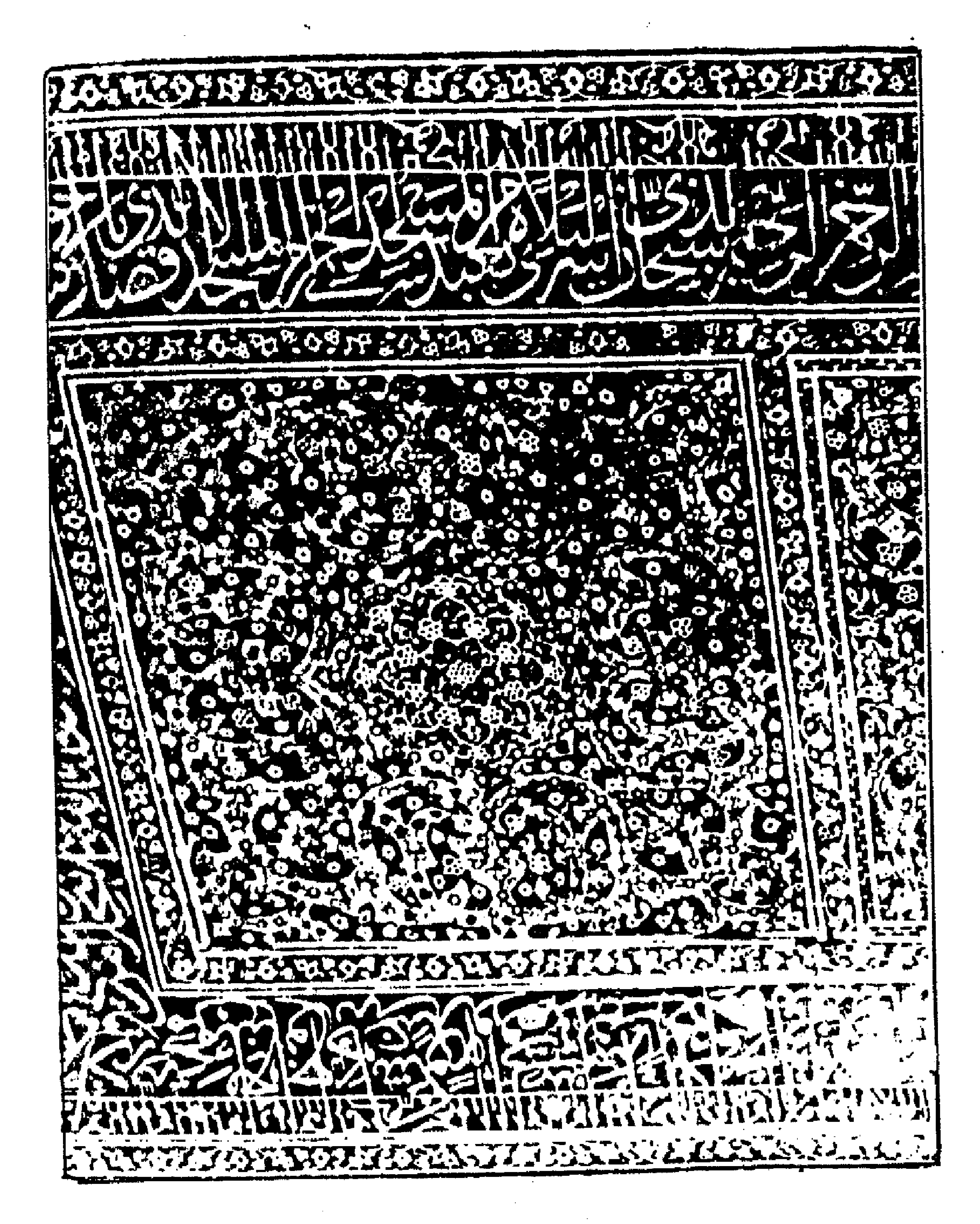
شكل (٤)


بسم الله الرحمن الرحيم
ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة
ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك
لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون

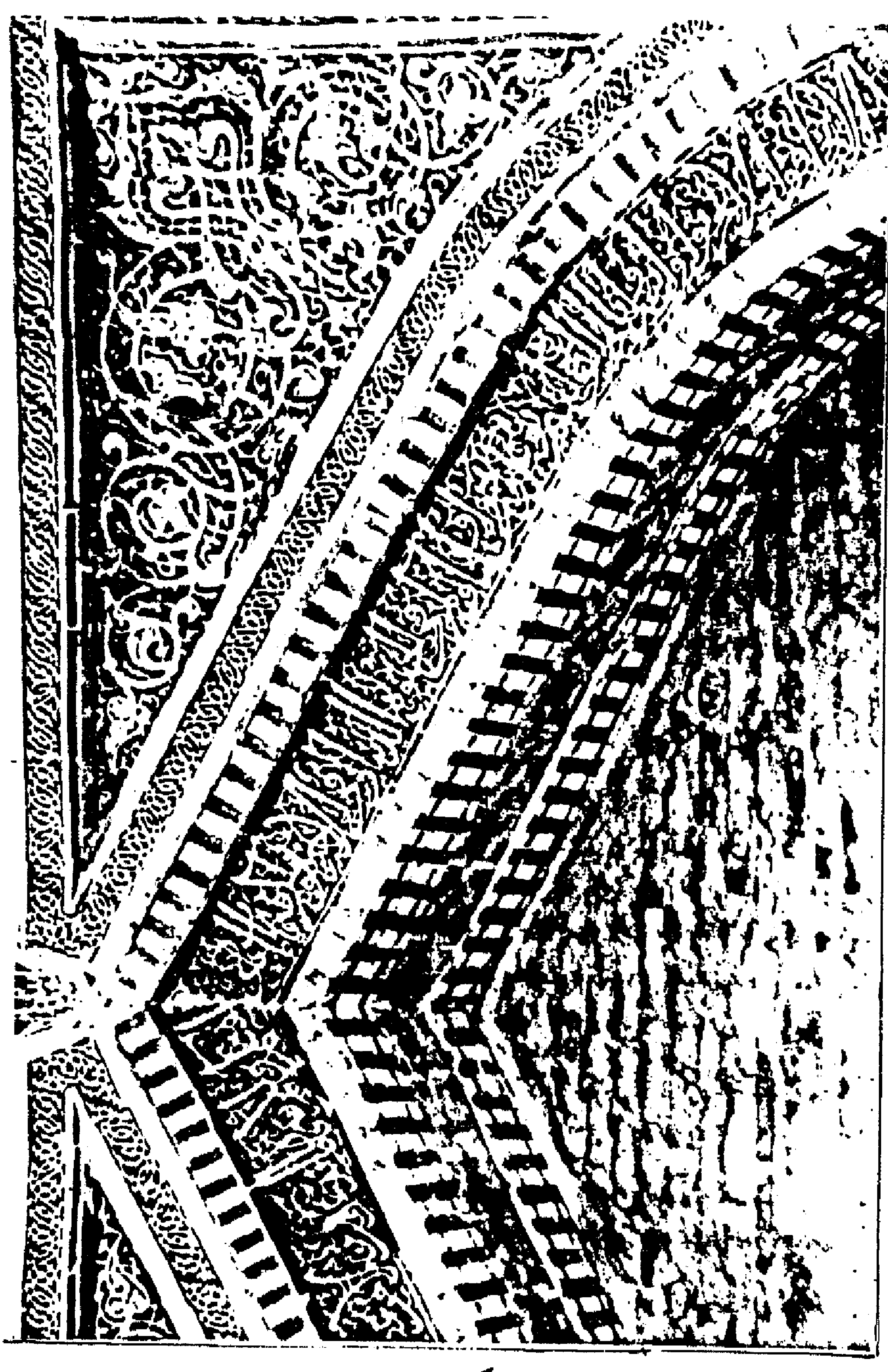
شكل (٥)


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك
يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
عبده الفقير شاه محمود النشابوري

شكل (٦)



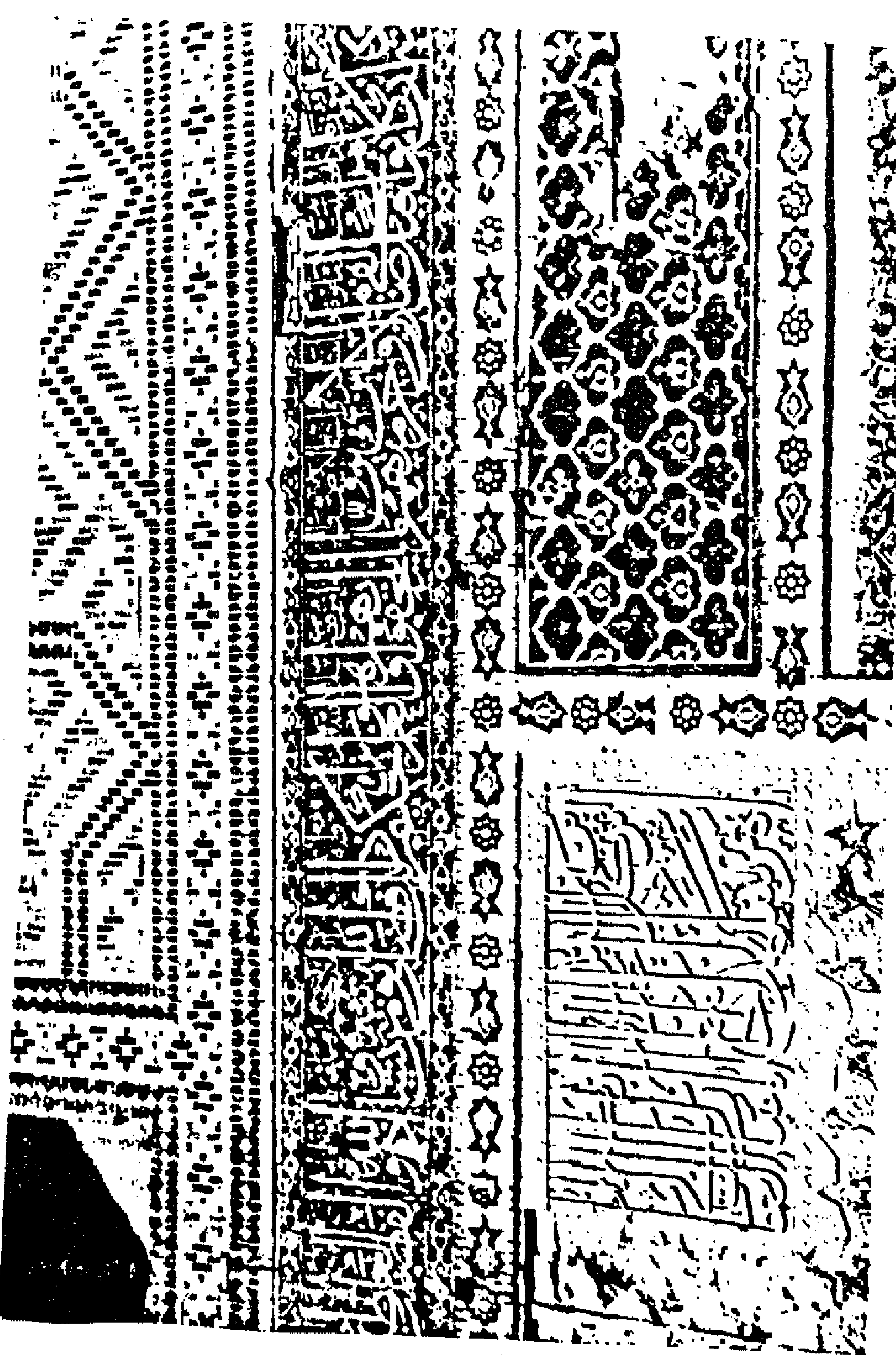
شكل (٧)



شكل (٨)



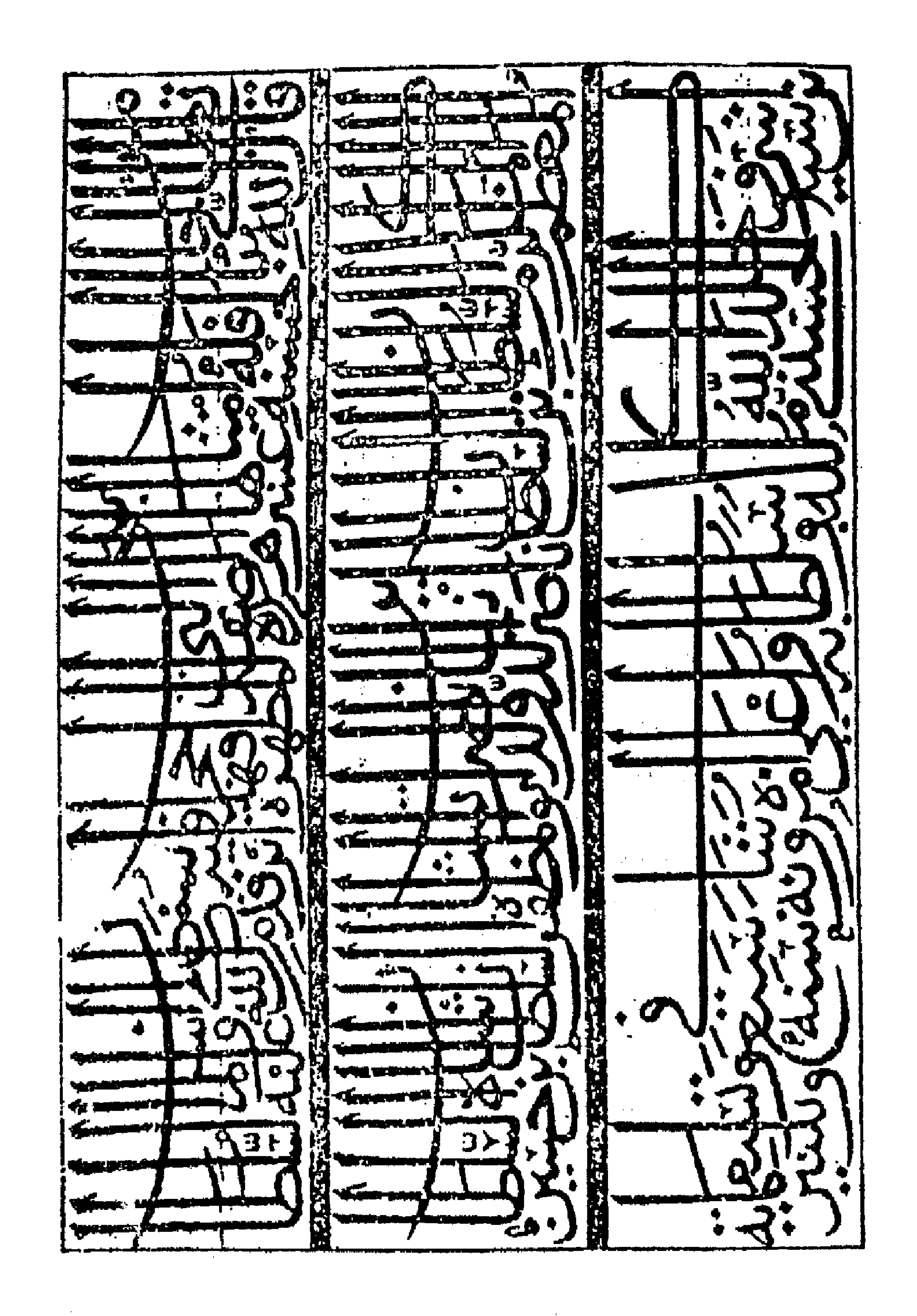
شكل (٩)



شكل (١٠)



شكل (١١)



شكل (١٢)

المبحث الخـــامس

الآثار والفنون الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز

كان الفتح العربى الإسلامى لآسيا الوسطى نقطة تحول خطيرة ترتبت عليها نتائج بعيدة المدى فى تاريخ هذه المنطقة من جهة ، وفى تاريخ الحضارة الإسلامية من جهة ثانية ، وفى تاريخ الحضارة الإنسانية عامة من جهة ثالثة(٦٢) .

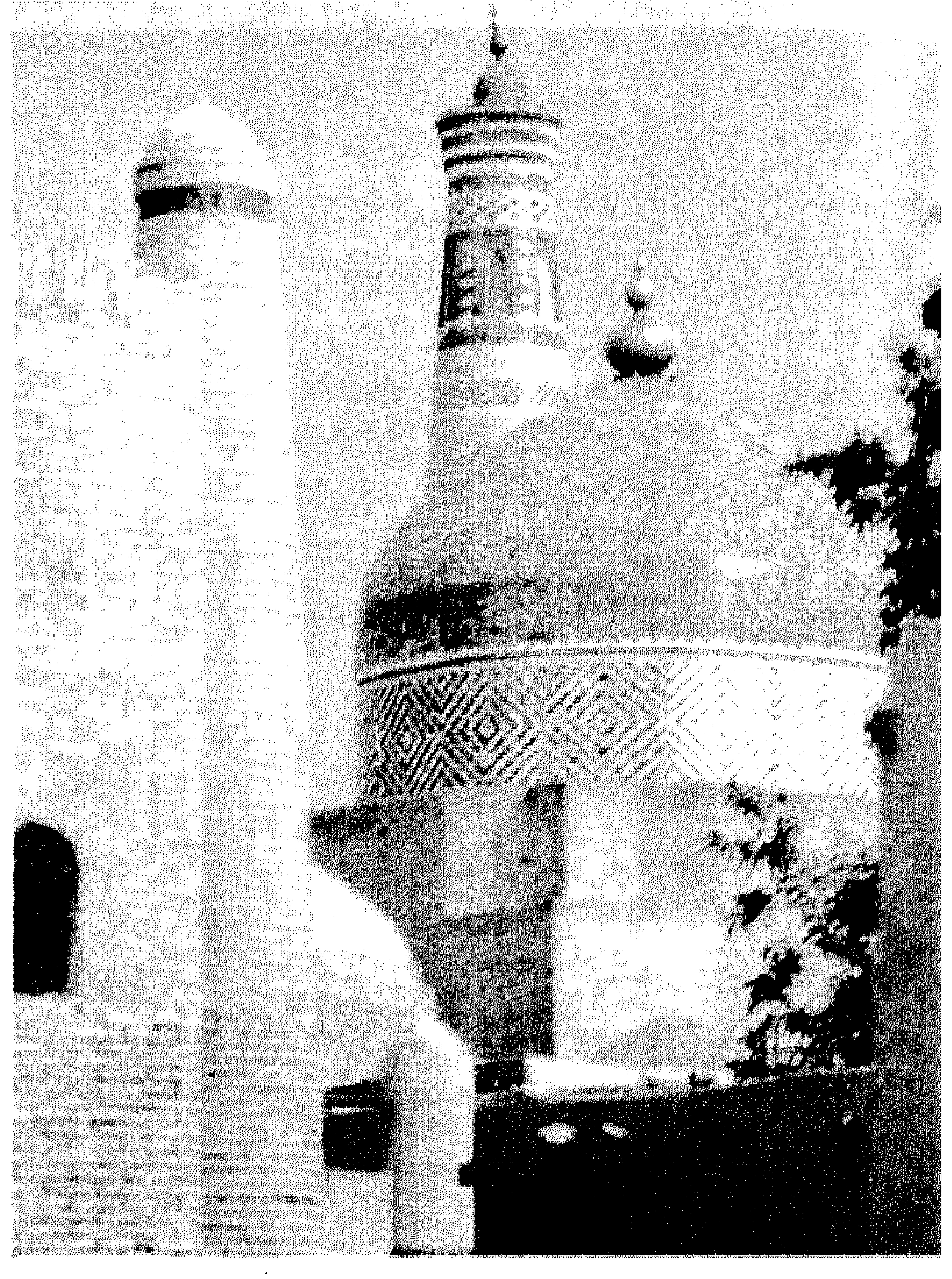
ولا يعنينا فى هذا المقام سوى أن نتحدث عن جانب واحد يعد من أبرز جوانب الحضارة المادية الإسلامية ، ألا وهو ذلك التراث المعمارى الخالد الذى يعد شاهداً حيا على المستوى الرفيع الذى وصل إليه طراز العمارة الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وبصورة عامة يمكن القول بأن هذا الطراز يمثل طرازاً محلياً أو فرعياً نشأ فى هذه المنطقة وتطور بها خلال عدة قرون حتى أضحت له سماته الخاصة وشخصيته الواضحة ، ولكنه رغم ذلك لم يفقد صلته بالطراز الإسلامى العام ـ الذى ـ هو فرع منه ـ أو بغيره من الطرز الفرعية المحلية المعاصرة له والتى أثرت فيه أو أثر هو فيها .

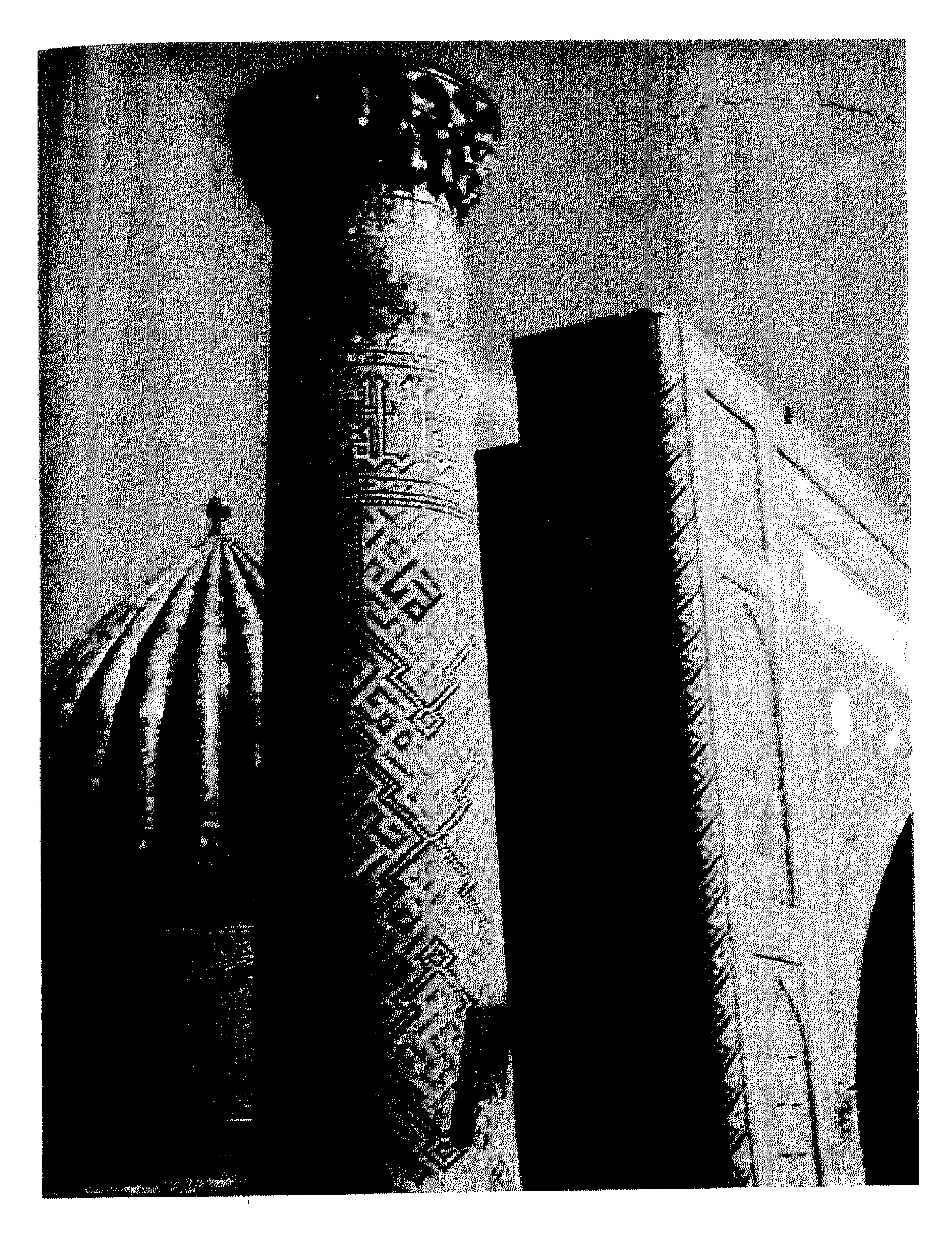
وإذا كان هذا الطراز قد ارتبط فى نشأته ، وخلال مراحل تطوره بعوامل البيئة المحلية من حيث طبيعة الموقع الجغرافى المتميز وظروف

---

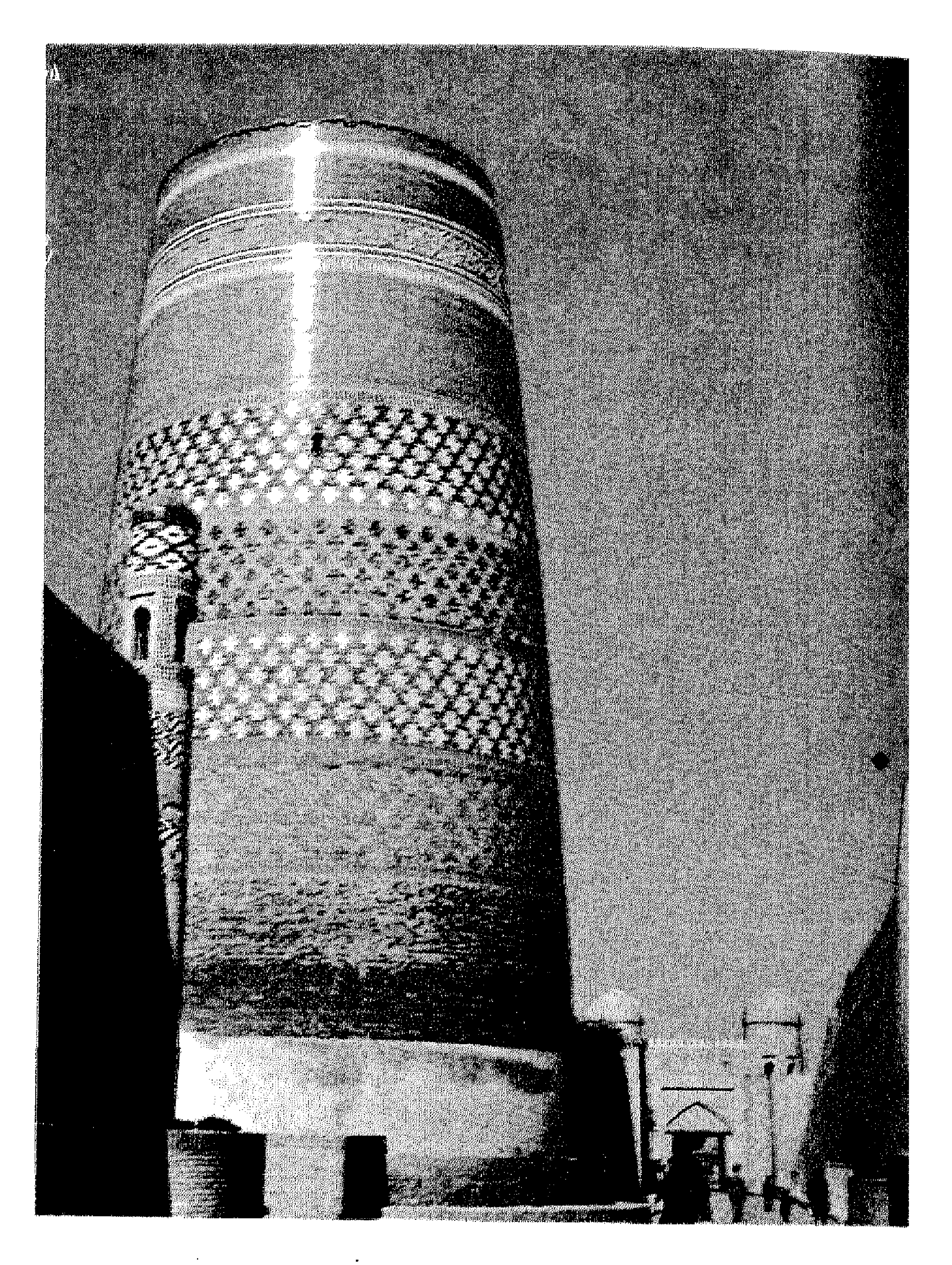
(٦٢) د . محمد حمزة الحداد : « المساجد المبكرة الباقية فى آسيا الوسطى وأهميتها فى دراسة تطور العمارة الإسلامية » مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطة والقوقار ، جامعة الازهر ، ٢٨ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، ص٣ .



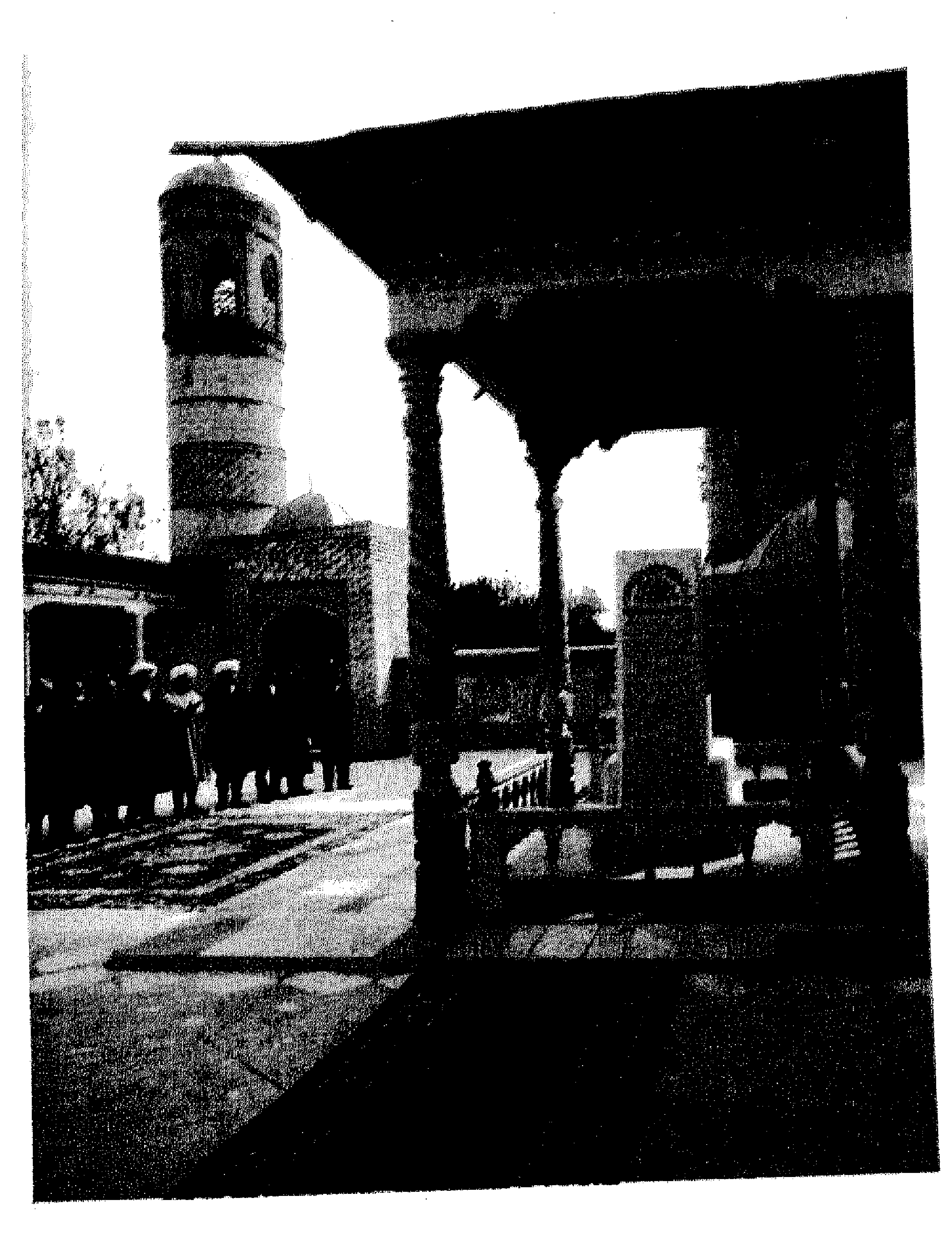
الآثار المعمارية الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز
« الاتحاد السوفييتي سابقاً »



سمرقند . منظر لمدرسة « شير - دار » . القرن ١٧



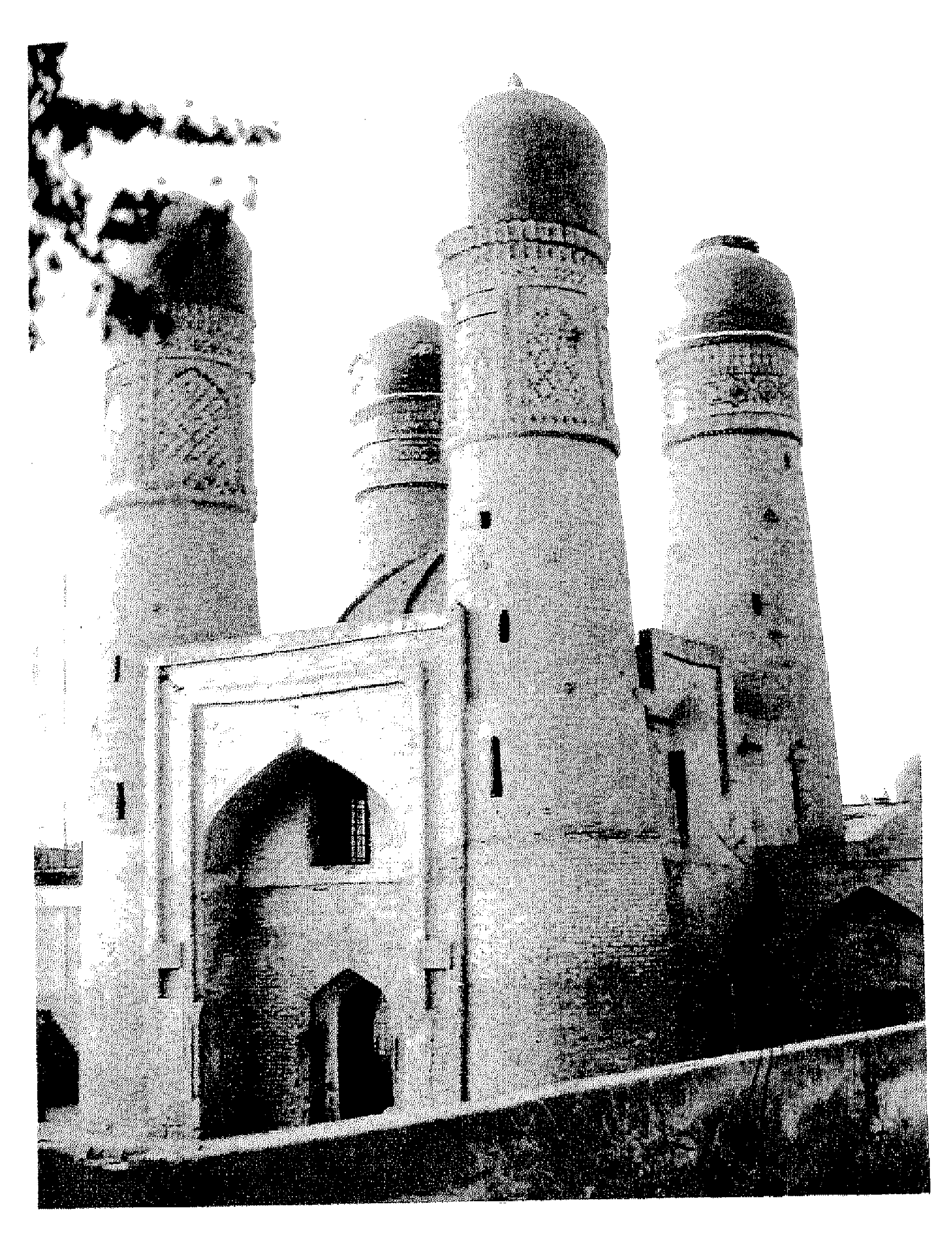
خيـوه . منـارة « كالتـه » . القرن ١٩



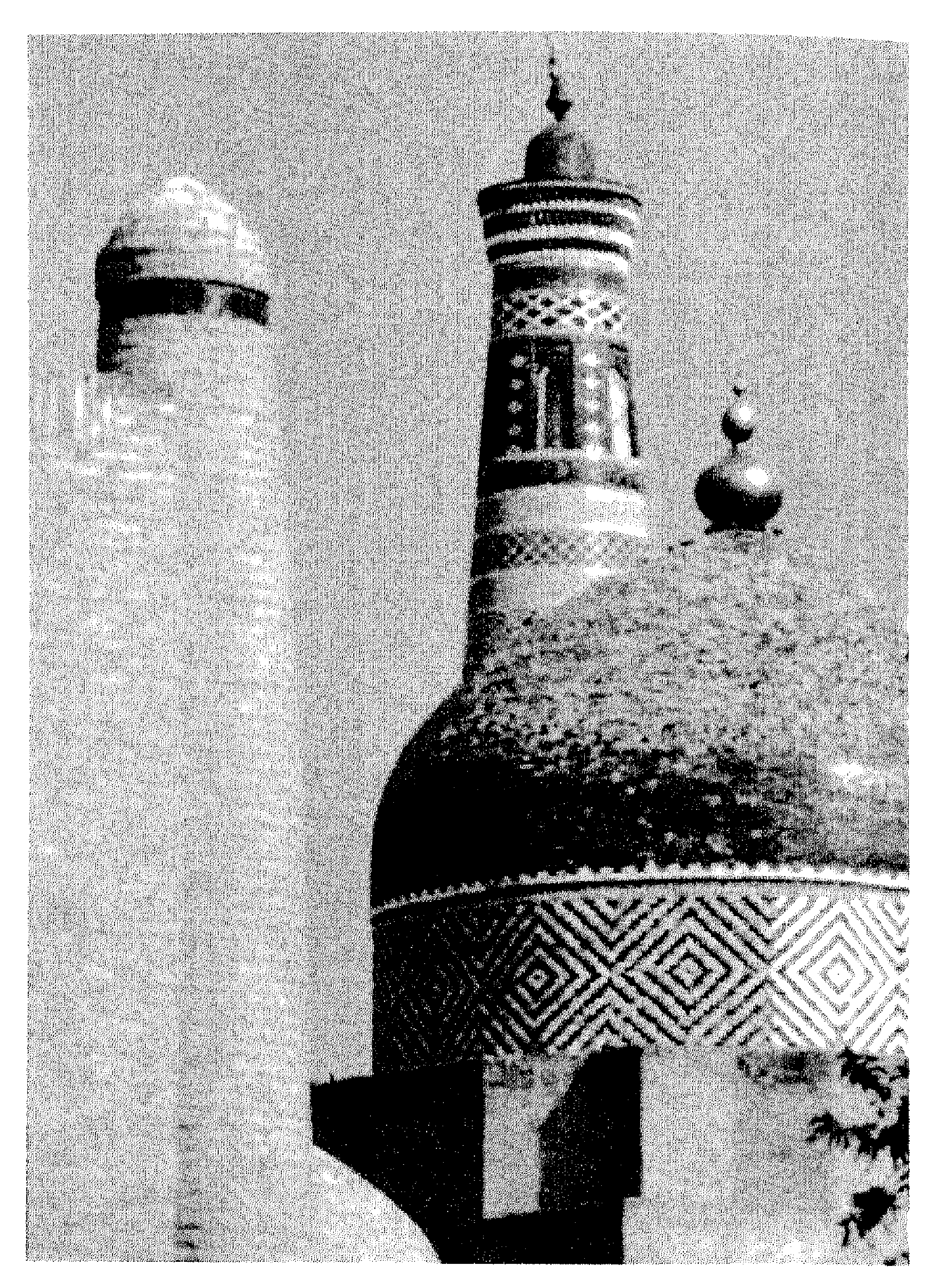
سمرقند . ضريح الامام البخاري القرن ٩



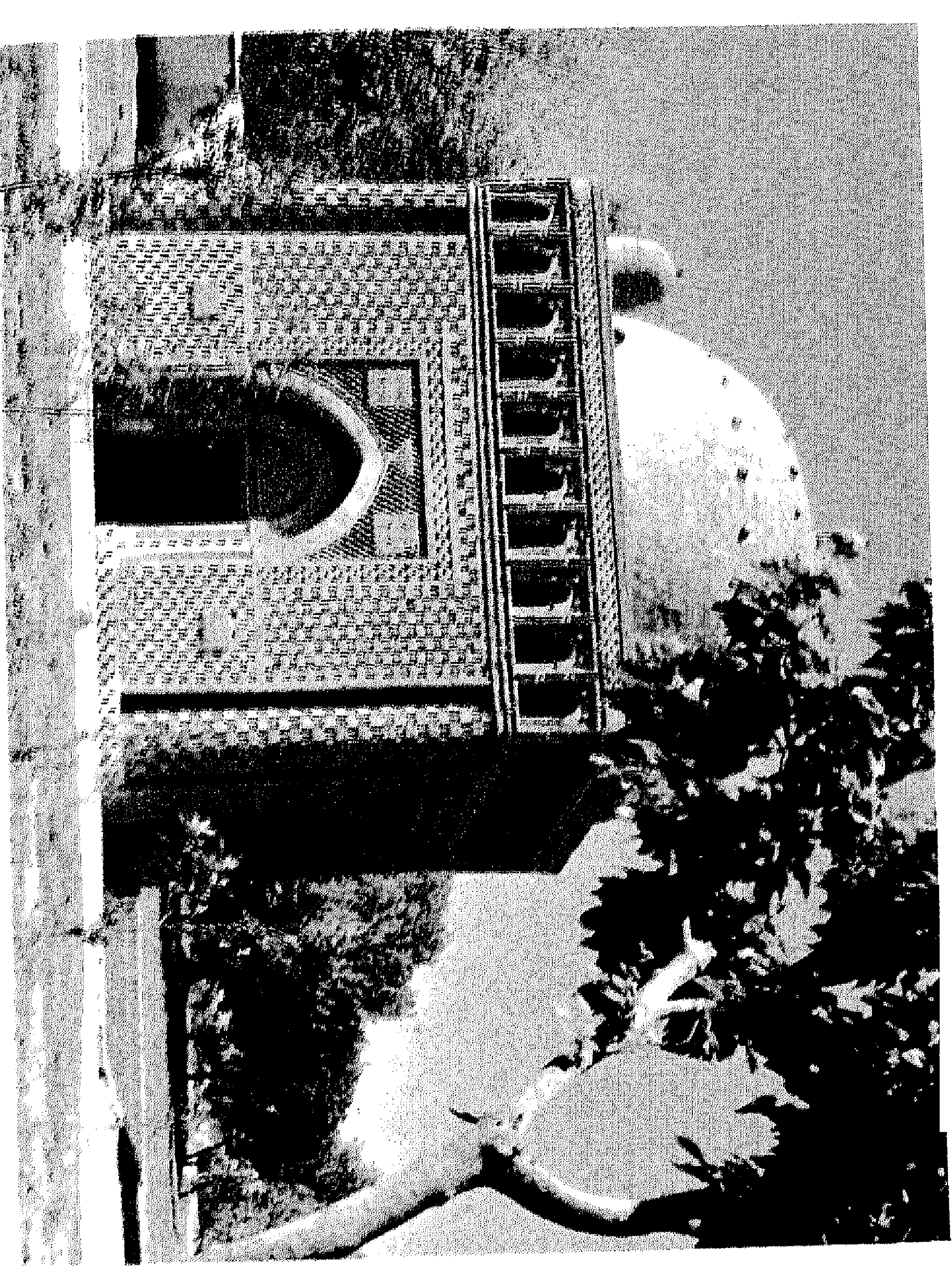
أتاجى . مسجد جامع فى قوقاز الشمالية



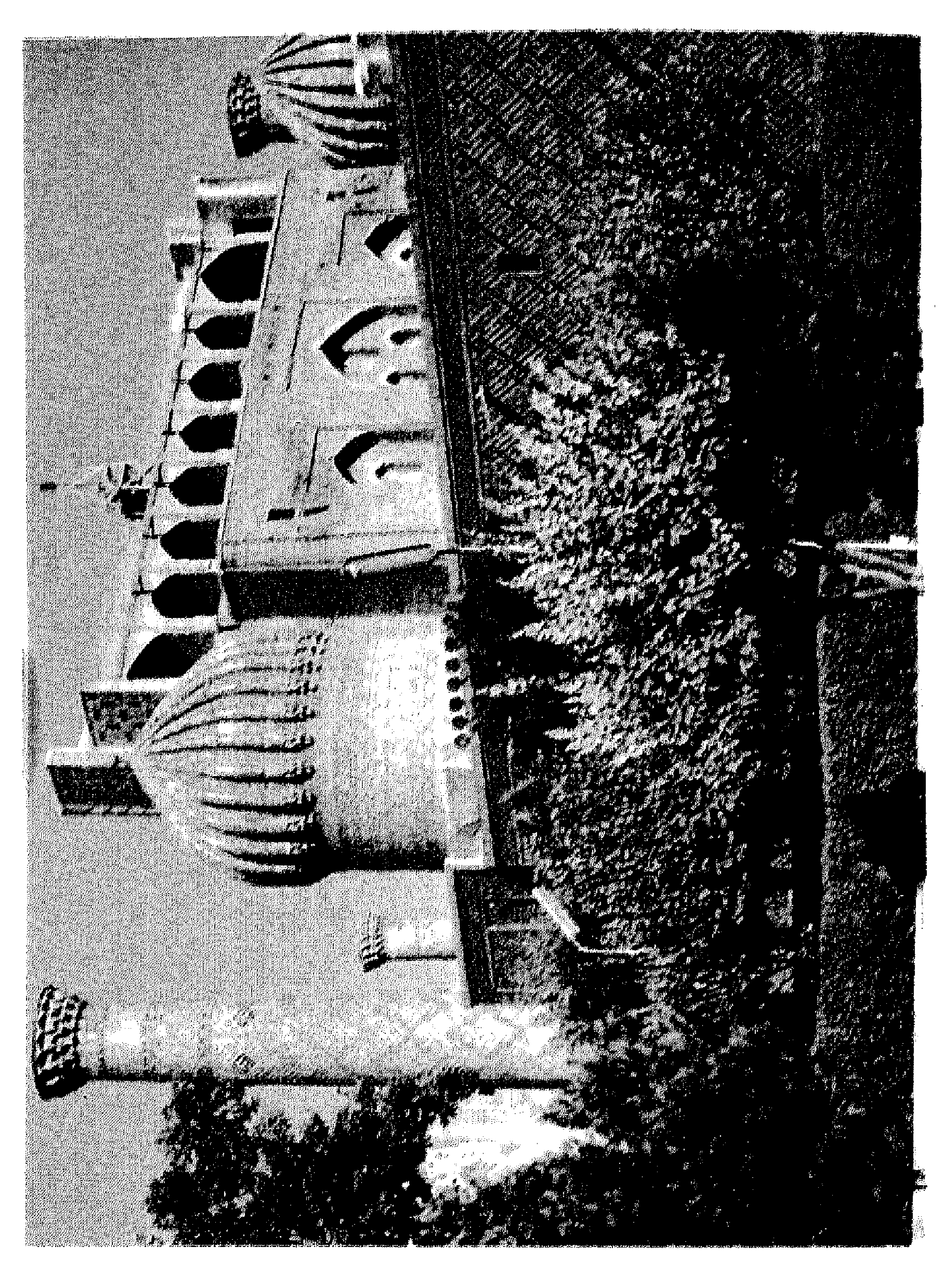
بخارى . مئذنة « تشور ـ مينور » . القرن ١٩



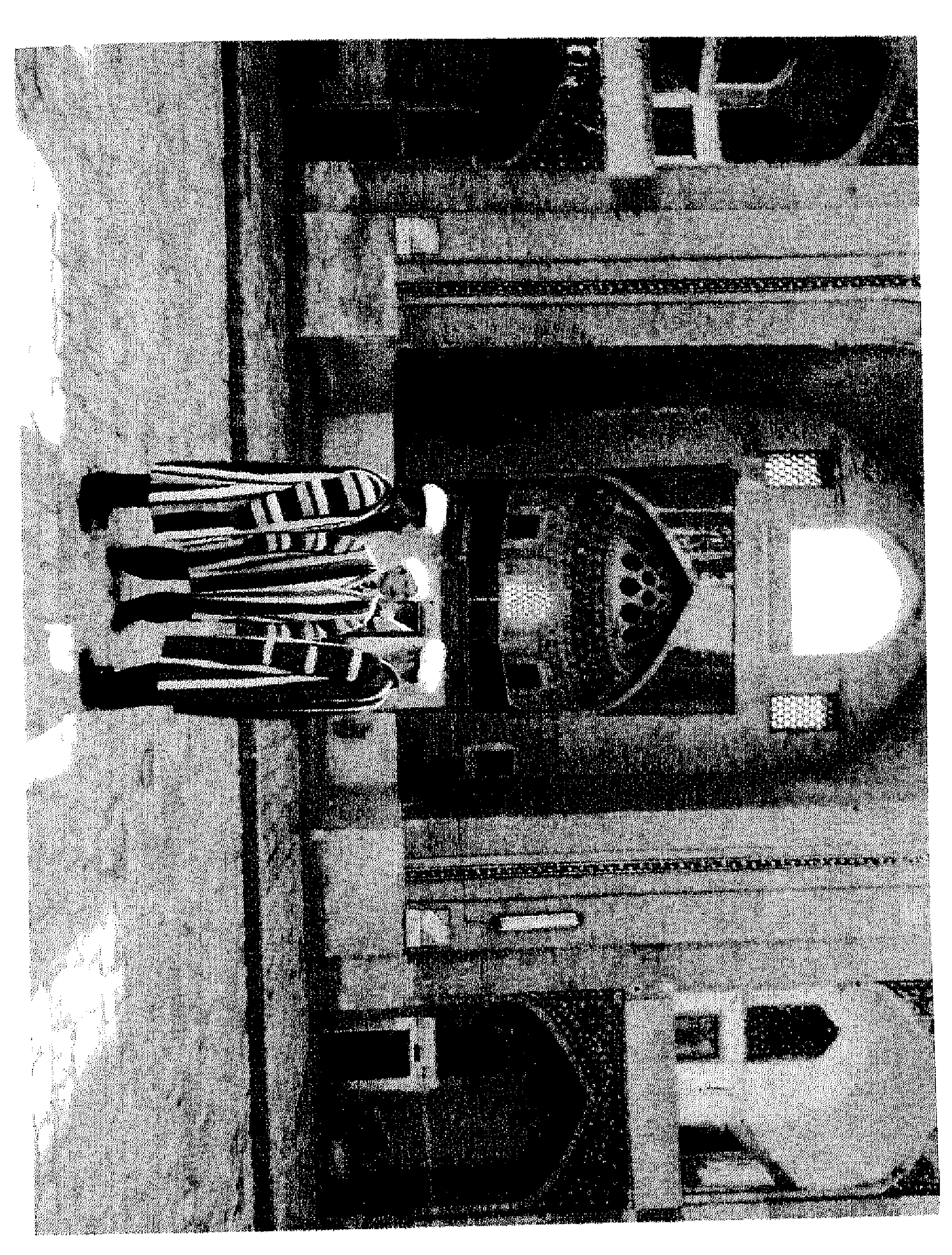
خيوه . منظر لقبة ضريح « بهلوان محمود » عام ١٨٣٥ ، ومئذنة « اسلام خوجه » عام ١٩١٠



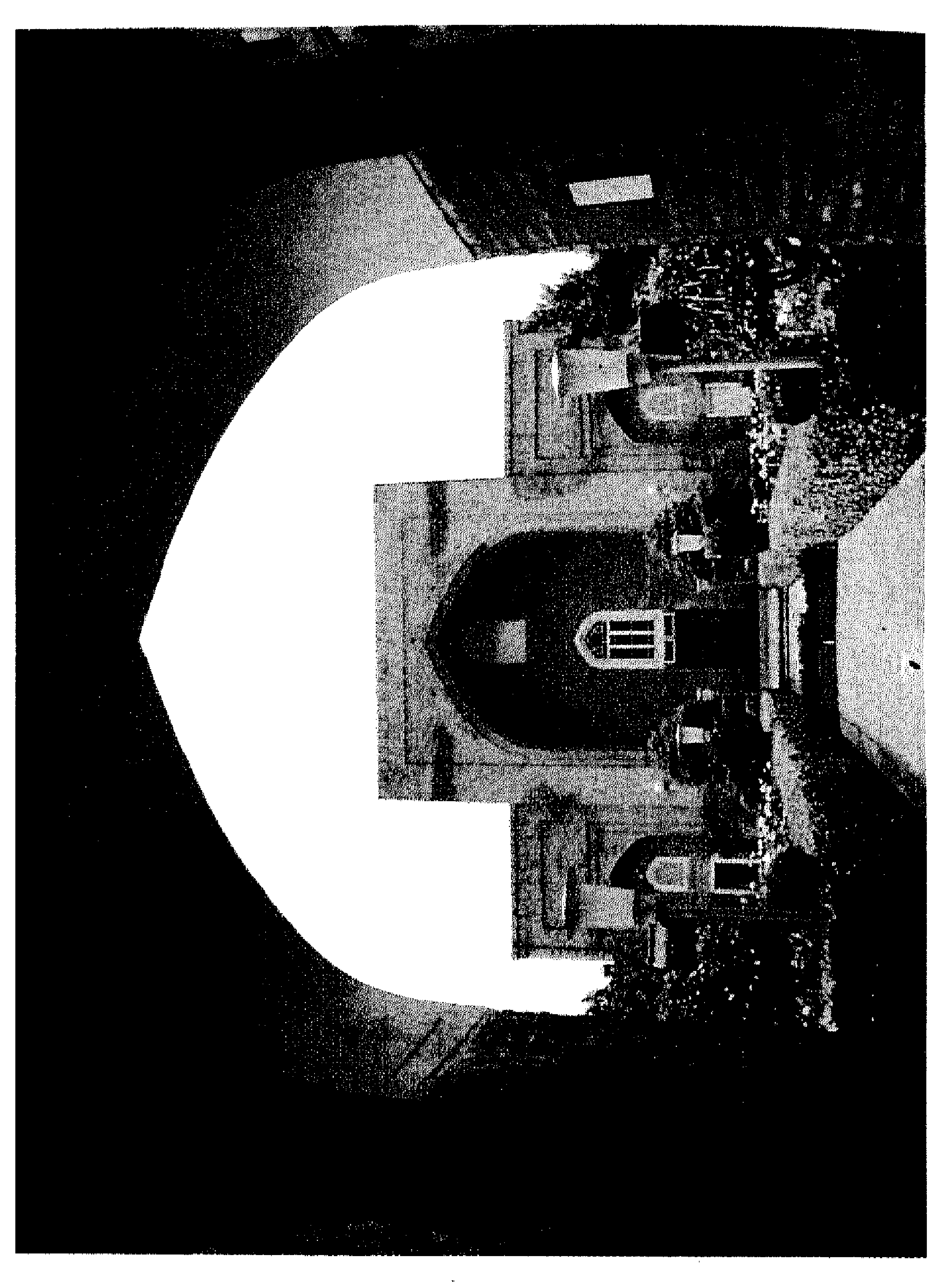
بخارى . ضريح السامانين . القرنين ٩ ـ ١٠



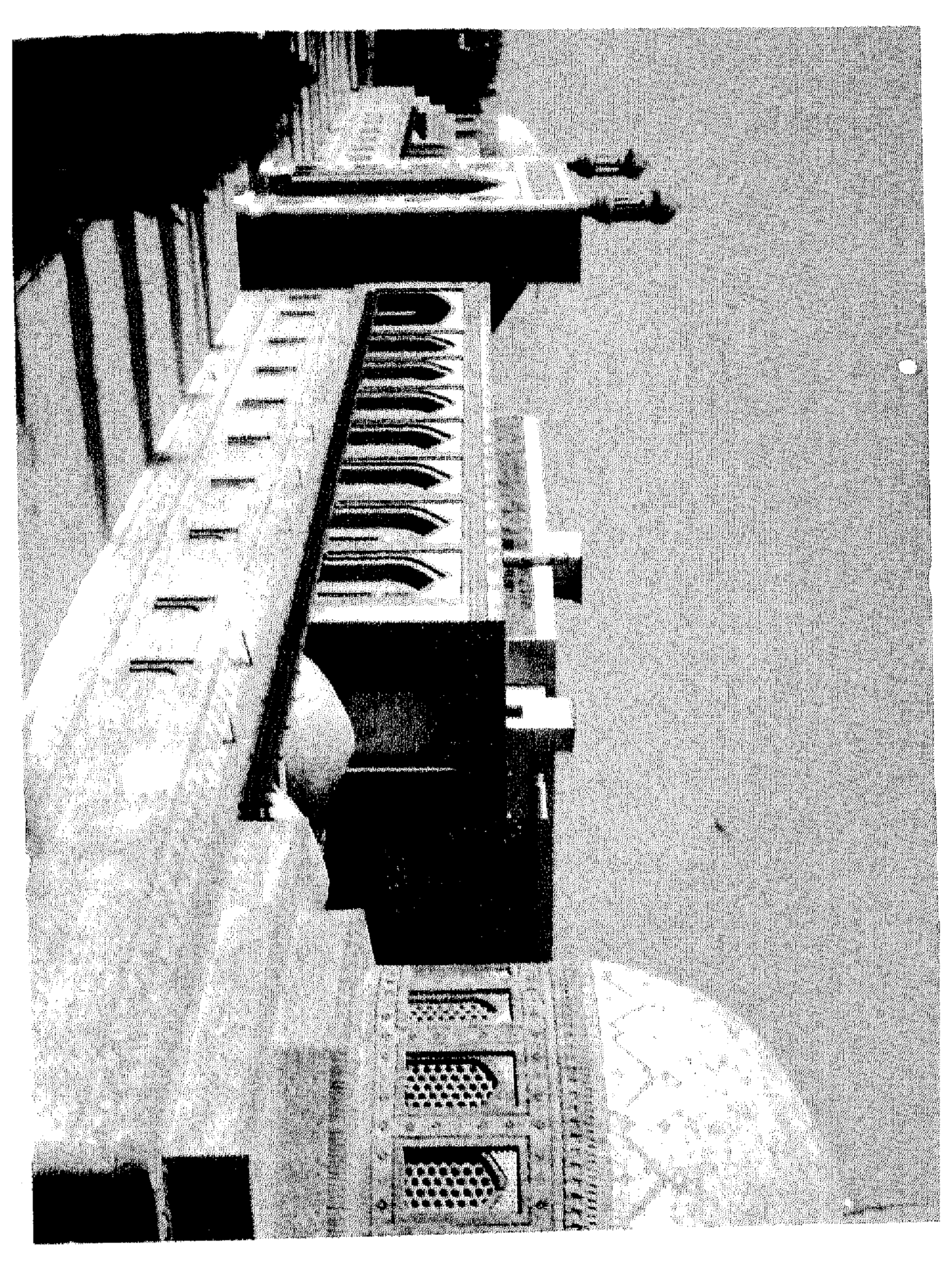
سمرقند . منظر لمدرسة « شير ـ دار » في ميدان ريجيستان . القرون ١٥ ـ ١٧



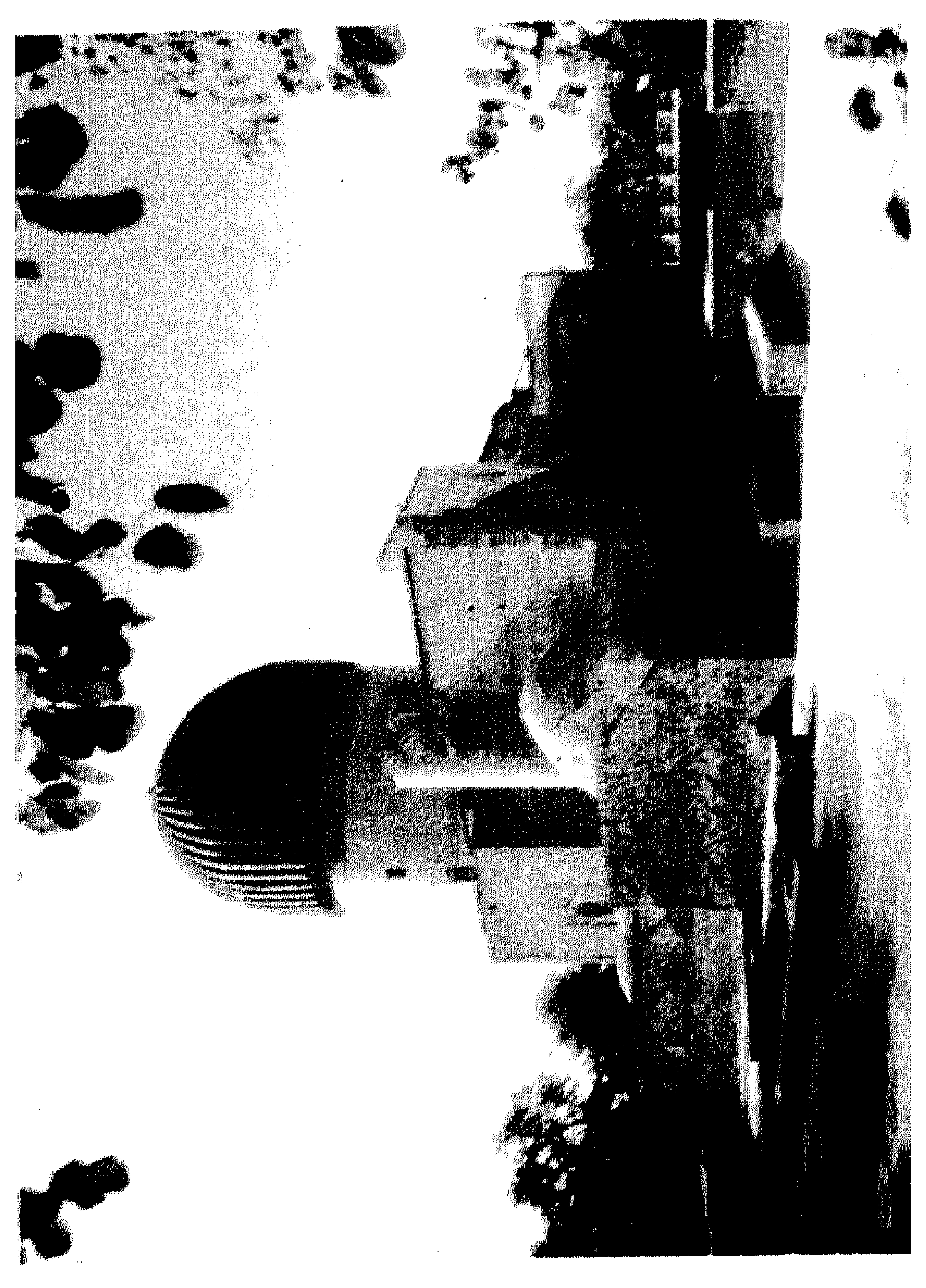
بخارى . منظر داخلى لمدرسة « امير ـ عرب » . القرن ١٦



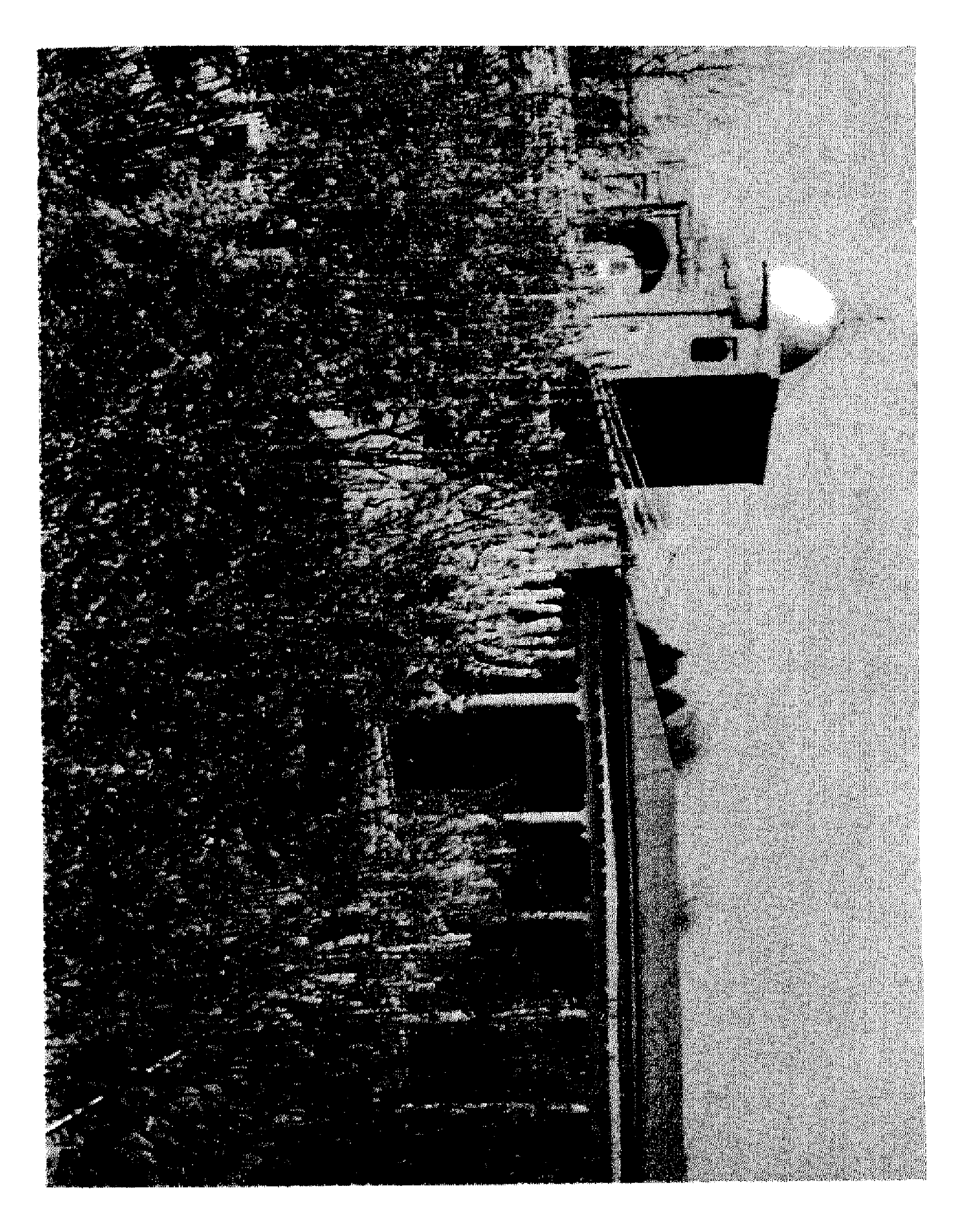
طشقند .مدرسة « براق خان » القرن ١٦ مقر الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان



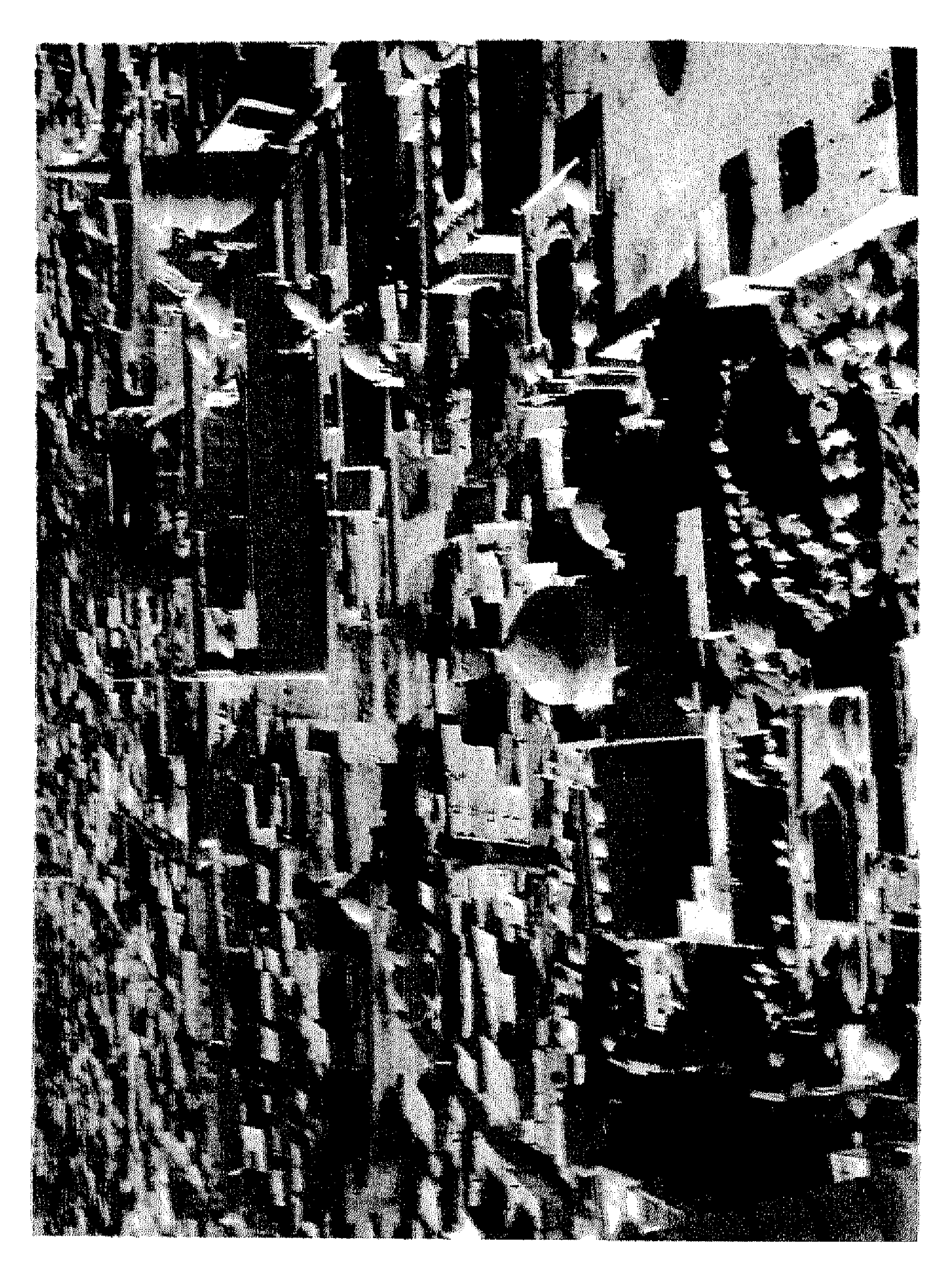
اندیجان . مسجد جامع . القرن ١٩



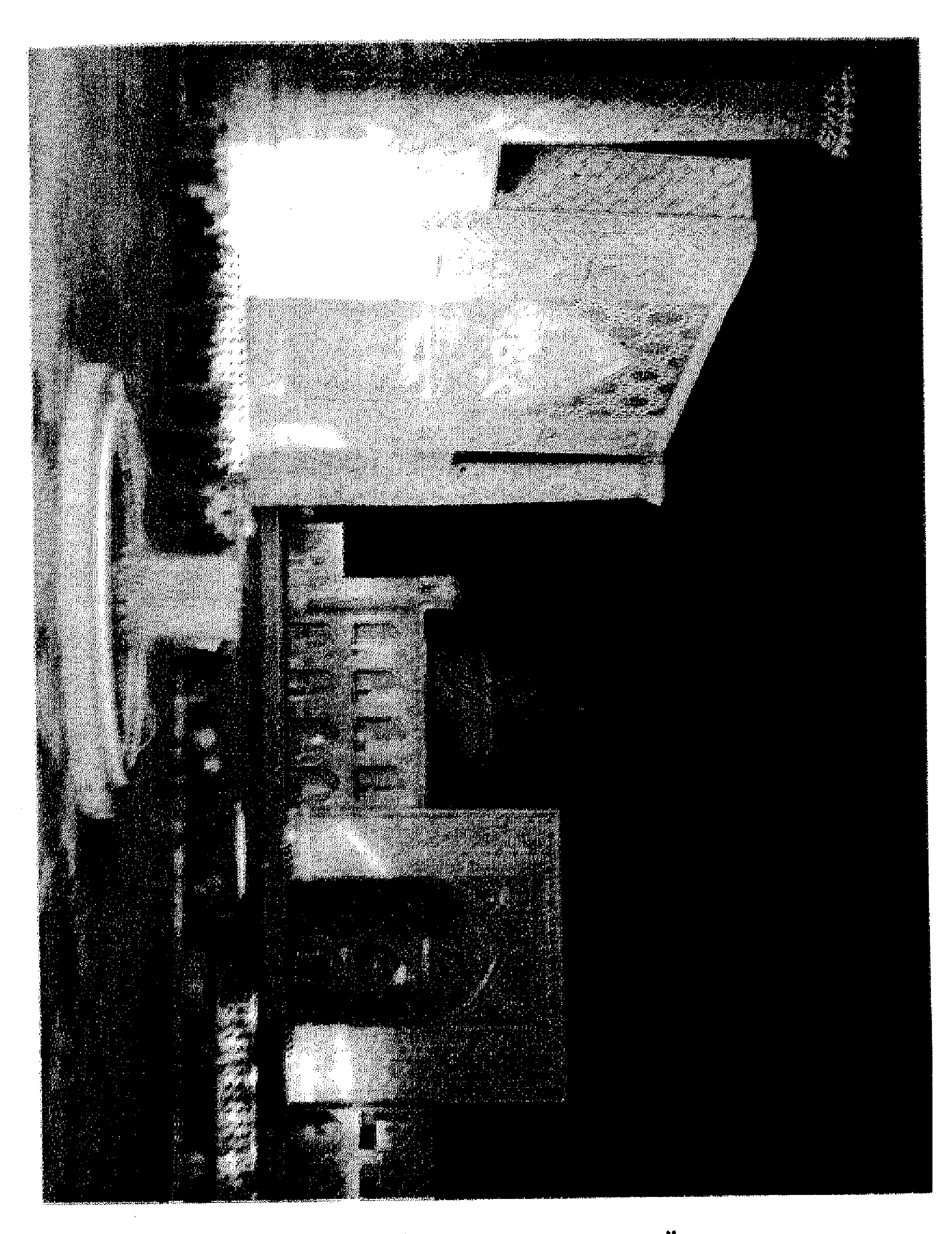
سمرقند ضريح « أمير تيمور » القرن ١٥



طشقند . معهد الامام البخاري الاسلامي . منظر عام



خيوه . مدينة اثرية ومنظر لقلعة « ايتشان »



سمرقند . مجموعة ريجيستان القرون ١٥ـ١٧

المناخ وتوفر المواد الخام اللازمة للبناء والزخرفة من جهة ، فإنه من جهة ثانية قد ارتبط ـ أيضاً ـ بالدول الإسلامية المتعاقبة التى دانت لها المنطقة ، وما شهدته كل دولة من استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية ، وما كان يصاحب هذه وتلك من استقرار الأوضاع الاجتماعية وتحسن العلاقات الخارجية التى كان لها أثرها البالغ فى تبادل التأثيرات المعمارية والفنية .

وبالإضافة إلى ذلك نذكر أن بعض المدن الرئيسية التى تنتمى إلى هذا الطراز كانت لها سمات خاصة وطابع معين تتميز به فى قليل أو كثير عن بقية المدن الأخرى ومن بينها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، بخارى ، سمرقند ، مرو ، خيوه ، ترمذ ، طشقند ، خوقند ، وجوجنج وغير ذلك .

هذا وما تزال آسيا الوسطى تحتفظ بسلسلة طويلة متصلة الحلقات تنتظم فيها مجموعة كبيرة من العمائر المتنوعة والمتعددة دينية كانت أم جنائزية أم مدنية أم حربية وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه أن نتتبع نشأة هذا الطراز وتطوره وازدهاره والتأثيرات المختلفة التى وقعت عليه[٦٣] .
وللتعرف على أهم الآثار الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى(*) سنلقى الضوء على الآثار فى عدة مدن إسلامية كبخارى ، وسمرقند وخيوة ، وترمذ على النحو التالى :

---

(٦٣) د . محمد حمزة الحداد ، المرجع السابق ، ص٤ .

(*) ومن فضل الله علينا أن وفقنا فى الحصول على مجموعة نادرة من الصور للآثار المعمارية الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) فى المدن الإسلامية : طشقند ، وبخارى ، وسمرقند ، وخيوه ... وغيرها، وهى خاصة بفضيلة الاستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى

أولاً ـ بخارى[٦٤] :

تعد بخارى أقدم المدن التاريخية فى آسيا الوسطى ، وكانت طيلة قرون محط التقاء القوافل العالمية الهامة ومنها طريق الحرير ، فهى المدينة التى عاش فيها العلماء والشعراء العظام الذين أسهموا فى تطوير الحضارة الإنسانية أمثال : الشاعر روداكى والطبيب والرياضى أبو على بن سينا وغيرهما كثير .

بخارى ذلك المتحف الكبير تحت قبة السماء ، لم يبق فيها سوى ١٤٠ مبنى أثرياً ، ضمنها القلعة رائعة المنشآت العسكرية القديمة التى شيدت ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وفيها قصر الحاكم والمسجد وبيت المال . وإلى جانب أسوارها المنيعة يرتفع مسجد بولا حاووظ الذى شُيِّد خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع عشر والعشرين ، ويبهر البصر بنقوشه وأعمدته الرائعة وإيوانه الأسطورى المشرف على خزان الماء الكبير .

ومن روائع فن العمارة الشرقية فى بخارى ضريح السامانيين المشيد خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بأبدع هندسة فريدة ونفذ بالآجر المشوى ، وحسب أوضاع الشمس طيلة النهار يبدل ألوانه مئات المرات ويبلغ قمة جماله فى الليالى المقمرة ، وهذه الخاصية تميز ضريح السامانيين عن كل الآثار المعمارية فى العالم أجمع . وفى الحديقة

---

(٦٤) د . نعمة الله إبراهيموف ، الآثار الإسلامية فى أوزبكستان ، ص ١١ - ١٣

المكشوفة نفسها يقف ضريح ششما أيوب المشيد خلال القرنين الثانى عشر والرابع عشر الميلاديين ، رغم بساطة بنائه يجلب الأنظار بقبابه المدببة ، وفى مركز المدينة تنتصب مبانى بوى كالان المشيدة خلال الفترة الممتدة من القرن الثانى عشر وحتى القرن الرابع عشر الميلاديين ، وترتفع فوقها لخمسين متراً منارة كالان المزركشة بمختلف النقوش ، المنفذة بقطع الآجر .

وفى المدينة قصر « سيتادة ماهى خوسا » الذى يرجع إلى « القرنين ١٩ ـ ٢٠ م » وسجن الإمارة الأرضى « زندان » ويرجع إلى « القرن ١٨ م » ومدرسة مير عرب « عام ١٥٣٦ م »وقباب الأسواق التجارية « القرن ١٧ م » وخزان المياه ومجموعة مبانى لأبى حاووظ « القرنين ١٦ ـ ١٧ م » ومدرسة « نادرة ديوان بيغى » ومدرسة « كوكيلداش » « عامى ١٥٧٨ ـ ١٥٧٩ » . والمواقع الأثرية الموضوعة تحت الحماية فى بخارى الحية للأسف غير محاطة برعاية منظرى البيروقراطية ؛ إذ نرى ضريح اسماعيل السامانى عرضة للرطوبة الأرضية ، وضريح بهاء الدين النقشبندى ومنارة أرسلان خانة فى وضع يرثى له . وحتى الآن لم تزل ٨٧٩ منشأة أثرية تستخدم كإدارات ومحلات تجارية وللخدمات العامة . ومستوى برامج الترميم والتجديد متدن ، ومشكلة إعداد الكوادر اللازمة للترميم غير محسومة . والأكثر من ذلك أن التجديد الجزئى للمبنى الأثرى «رباطى مالك» نتج عنه تشويه كسوة المبنى وزخارفه . كل ذلك لانعدام القاعدة المادية والتقنية لأعمال الترميم .

وبرغم القرارات الصادرة عن السلطات بمنع أعمال الحراثة وسقاية

الأراضى حول المبانى الأثرية ، فإننا نرى أنها مستمرة حول بلدة «ورتشا» ومدرسة تورسون جان ومسجد سعيد كال . ولم يتم إخلاء مدرسة إبراهيم خوند من مستودعات المنتجات الصناعية .

ثانياً : سمرقند[٦٥] :

سمرقند ذات الألفين وخمسمائة ربيع ، المدينة المتحف ، عقدة طرق القوافل التجارية القديمة ، وطريق الحرير الذى ربط يوماً ما الصين بأوروبا ، المدينة التى كانت ملتقى التجارة والقيم الروحية والعادات والتقاليد الأصيلة لمختلف الشعوب ، المدينة التى انبعثت فيها الثقافة الأصيلة للمنطقة بأسرها ، وكانت مهداً للحضارات شأنها شأن مهد الحضارات الإنسانية الأخرى بابل وممفيس وأثينا وروما والإسكندرية . سمرقند التى عاشت الأحداث الصاخبة والمصيرية عبر التاريخ واهتزت لها ، المدينة التى أثبتت أقدم الوثائق التاريخية أنها كانت مركزاً رائداً للفكر العلمى والثقافى . مدينة أشهر العلماء والشعراء الشرقيين «روداكى» و«الوغ بيك» و«نوائى» و«جامعى» .

آثار القرون الوسطى المعمارية فى سمرقند تشمخ اليوم رمزاً لفن العمارة المحلى ، تدهش بروعتها وجمالها وعظمتها وتفرد شكلها وحساباتها الهندسية الدقيقة الناظرين . وأبلغ مثال على ذلك ساحة رجستان ، وتعنى بالعربية موقع الرمال ، تزين جوانبها الثلاثة مبان

---

(٦٥) د . نعمة الله إبراهيموف ، المرجع السابق ، ص ٥ – ٨ .

ضخمة تشمل : مدرسة «الوغ بيك» التى شيدت خلال القرن الخامس عشر الميلادى ، ومدرسة «شيردار» المشيدة خلال القرن السابع عشر الميلادى ومدرسة «تيلا قارى» المشيدة فى نفس الوقت ، تثير بمجموعها دهشة الناظرين روعةً وجمالًا . ومن بين الآثار الفريدة الأخرى فى سمرقند ضريح «غور أمير» الذى شيد عام ١٤٠٨ ميلادية بأمر من الأمير «تيمور لنك» الذى يقبع ثراه فى سردابه شبه المظلم وثرى حفيده العالم المشهور «الوغ بيك» صاحب المرصد الذى اكتشفت آثاره فى القرن الحالى عند أطراف المدينة وتضم القسم السليم من المرصد الكبير .

ويضم اليوم مجموعة من اللقيات الأثرية تحدثنا عن مراحل نشوء سمرقند عبر التاريخ ، ومن بينها النقوش الجدارية المكتشفة فى أفراسياب ورممها الخبراء لتبقى رمزاً رائعاً لفنون الشعوب البائدة . ومنذ مدة قريبة زينت ساحة «رجستان» بنصب تاريخى أطلق عليه اسم القافلة يشرح جهود «تيمور» الحديدى لجعل سمرقند عاصمة عالمية عندما جاء بالحرفيين المهرة من كل أصقاع الأرض وأمرهم بتشييد الآثار المعمارية الخالدة فى آسيا الوسطى مباهية روائع الفن المعمارى القديم فى مصر والصين والهند واليونان وروما ، واليوم يتابع أحفاد الحرفيين المهرة خطى أجدادهم بتجميل مدينة سمرقند .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ، هل تعود المدينة التاريخية ــ روما الشرق ــ لسابق عهدها ؟ بعد الخراب الذى حل بها خلال العهد الذى سمى بالسوفيتى ، بعد حركة البناء غير المدروسة للمبانى والمنشآت

العامة والمصانع وما تبع ذلك من مشاكل بيئية حادة انعكست آثارها على المبانى الأثرية .

ومن الأمثلة على ذلك البناء العشوائى للمساكن خلال الخمسينات من هذا القرن على المنطقة الممتدة ما بين قصر « بيبى خانم » ومبانى « شاه زندة » ، ومسرح الأوبرا وبعض المبانى الحكومية مكان القصر الفيروزى لتيمور لنك .

فلسمرقند وضع خاص ، وأى تغيير لمعالمها الأثرية وخاصة مركز المدينة يجب أن يخضع لعناية ودراسة فائقة . وليس عبثاً ما قاله الخبراء عن أعمال تجديد المبانى الأثرية فى ساحة رجستان كانت خاطئة حيث أزالت الخلفية التاريخية التى تحيط بها . ومما أدهش السمرقنديين الطريقة التى أعدت بها المشاريع الجديدة فى المدينة بمناطق «ليموناده بازار» و« شارعى ينج قند » ـ و« قايرون » .

ثالثاً ـ خيوة(٦٦) :

عاصمة خوارزم من القرن السابع عشر . وتنقسم المدينة إلى قسمين داخلى « إيشان قلعة » حيث الآثار المعمارية وخارجى « ديشان قلعة » حيث يسكن الأهالى اليوم . والمنظر الأسطورى الشرقى للمدينة يمكن مشاهدته من فوق المنارة أو أسوارها التى ترتفع عالية فوق أزقة المدينة الضيقة وبوابات المبنى الأثرى الضخم الذى تلتفت حوله مربعات

(٦٦) د . نعمة الله ابراهيموف ، المرجع السابق ، ص ١٣ — ١٥ .

الأبنية المتكاملة مع بعضها البعض بصفوف الآجر مربع الشكل المغشى بالأحزمة والنقوش .

وفى مركز المدينة يرتفع المسجد الجامع ـ بأعمدته الرائعة الكثيرة ، والتى ترجع إلى « القرن الثامن عشر الميلادى » ـ أحد أجمل المبانى الأثرية فى آسيا الوسطى ، وإلى جانبه المنارة المشيدة خلال القرن التاسع الميلادى . زخارف زاهية وكتابات منمقة تغطى بناء مدرسة « شيردار غازى خان » « عامى ١٧١٨ ـ ١٨٧٢ م » ومدرسة « كتلوك مراد ايناك » بشكلها الفريد ، وأبنية ضريح « بهلوان محمود » ، و« علاء قولى خان » « القرن ١٩ م » وقصر « طائش حولى » « عام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨ م » .

بيوت خيوة البالغة من العمر ٢٥٠٠ عاماً المبنية من الطين خربتها الكوارث الطبيعية والسياسة السوفيتية الملحدة الظالمة . وبعد انتشار استخدام الحجارة والآجر المشوى فى البناء أضيفت التسمية « طاش » للمبانى وتعنى حجر لتمييزها عن سائر المبانى الأخرى ، ومنها طاش حولى ، أى القصر الحجرى الذى شيد بأمر من « خان خيوة الله قولى » عام ١٨٢٦ ـ ١٨٤٢ م » . ويضم هذا القصر ثلاثة مبان كبيرة موشاة بالنقوش والكتابات والأعمدة الخشبية المحفورة . وهى : « أرض حولى » وهو المكان المعد لاستقبال السفراء والمراجعين . و« عشرت حولى » مكان الراحة والولائم والمباريات الشعرية والموسيقية وحفلات الزواج . و« الحرم » مكان إقامة الخان ـ وزوجاته وأولاده وأقاربه . إضافة لـ ١٦٣ غرفة مخصصة لمختلف الأغراض .

وفى خيوة أيضاً «طاش كوبير» ، أى الجسر الحجرى الذى شيد فى القسم الشمالى من «إيشان قلعة» على قناة «سير شالى» ، إبان «حكم الله قولى خان» ـ وتالى مسجد الذى شيد فى عهد سعيد محمد خان «عام ١٨٥٥ ـ ١٨٦٥ م» والد محمد رحيم الثانى «فيروز» عام «١٨٦٥ ـ ١٩١٠ م» وتشتهر المدينة بآبارها الحجرية «طاش كيو» المميزة عن الآبار العادية . بمواد بنائها ، وهنا يجدر بنا أن نذكر قرية سانغار موطن ناحتى الحجارة بالقرب من خيوة حيث يستخرج المرمر وهناك يعيش أحفاد النحاتين الذين نفذوا المبانى الحجرية فى المدينة ، ولكن للأسف فقدت هذه المهنة بريقها خلال الحكم الستالينى .

رابعاً ـ ترمذ[٦٧] :

هذه المدينة الخالدة التى صمدت أكثر من مرة أمام الحصار وتدمير الفاتح المقدونى والمغولى والحروب المحلية بقيت شاهداً حياً إلى اليوم . لتستخدم من قبل حرس الحدود حظائر لدوابهم ومسرحاً لتدريباتهم العسكرية ، وقلعة المدينة أصبحت معسكراً للجند ومخابىء للآليات ومستودعات للأسلحة والذخائر . أما المعبد البوذى فى فيازتبة فيستخدم جزء منه حظيرة للمواشى ، والآخر لزراعة القثاء . والقسم الذى لا تشغله قوات حرس الحدود من المدينة القديمة خاضع لأهواء ومصالح السلطات المحلية .

---

(٦٧) د . نعمة الله ابراهيموف ، المرجع السابق ، ص ٤ ـ ٥ .

والعاصمة التاريخية لدولة تشغانيان ، مدينة بودراتشى والمدن التاريخية دالفيرزين تبه وايرتمان وجاركوتان وخالتشيان تبه وشورب كورغان فى حالة يرثى لها تنتظر مصيرها القاتم فى الاختفاء من الوجود . وضريح الإمام المحدث الكبير صاحب الطريقة الصوفية الإسلامية ، المشهور فى العالم أجمع أبو عبدالله محمد الحكيمى الترمذى أحد أولياء الله الصالحين . هذا الضريح من أقدم الأماكن المقدسة الإسلامية فى آسيا الوسطى وعاش فيها المتصوفون فى القرن التاسع الميلادى لم يبخل عليه تى الحكام السامانيون والقرة خانيون والتيموريون والخوارزميون بالمال لترميمه وتحسينه واستكمال بنائه ، كسباً لثقة الناس وتعزيزاً لسلطتهم ومكانتهم الاجتماعية ، نراه اليوم فى وضع لا يحسد عليه ، وبنفس المستوى المعمارى الرفيع نشاهد فى ترمذ مجموعة المبانى الأثرية سلطان سعادات التى لا تقل فى تفردها عن مثيلاتها فى بخارى وسمرقند وخيوة تشهد بالمستوى الرفيع الذى وصلت إليه هندسة العمارة فى آسيا الوسطى خلال الفترة الممتدة من القرن الأول وحتى القرن السابع عشر الميلادى .

الفصل الرابع
الهياكل الاقتصادية لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية ومستقبلها

تمهيد : فشل النظرية الاقتصادية الاشتراكية السوفيتية .

المبحث الأول : الأهمية النسبية لكل من اقتصاد روسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية .

المبحث الثانى : الإنتاج الزراعى .

المبحث الثالث : الإنتاج الصناعى .

المبحث الرابع : إنتاج البترول .

المبحث الخامس : النظم النقدية .

المبحث السادس : الموارد البشرية .

المبحث السابع : الإصلاح الاقتصادى والعقبات التى تواجهه محليا ودوليا .

المبحث الثامن : مستقبل التعاون الاقتصادى الإقليمى والدولى .

تمهيد :

فشل النظرية الاقتصادية الاشتراكية السوفيتية فى التطبيق

تقوم النظرية الماركسية على المادية المفرطة ، فغايتها إقامة مجتمع بلا طبقات ، ينتج بوفرة كل ما يحتاجه المجتمع ، يعمل كل فرد فيه بأقصى طاقته ، ويوزع الناتج على أفراد المجتمع كل حسب احتياجه .. فهى نظرية تستبعد الجانب الروحى من الحياة ، وتكبت غريزة حب التملك ؛ لذا كان طبيعياً أن تزداد سطوة الدولة وأن يحل القهر والإجبار محل مراقبة الله وخشية عقابه ، وطلب رضاه .. وهذا بالضبط هو ما حدث منذ عهد ستالين ، إذ عرف الاتحاد السوفيتى العمل بالإكراه The Forced Labour ، وهو ما يشبه نظام السخرة ، وكانت معسكرات العمل التى تضم الملايين من العمال تقام من أجل ذلك . وقد ظلت هذه المعسكرات تقام حتى بعد موت ستالين .

استدعى هذا الأمر ـ أيضا ـ أن تهيمن الدولة على كل أدوات الإنتاج والتوزيع ، بل والخدمات ، حتى الدنيا منها ، كقص الشعر وإصلاح الأحذية ، وعلى معظم التجارة الداخلية ، فتضخم الجهاز الإدارى للدولة وتسرب إليه الإهمال ، والفساد ، والرشوة ، والسرقات ، فصارت بمثابة أمراض مزمنة .

ونظراً لانتشار الأفكار الاشتراكية الماركسية فى البلدان التى أطلق عليها « العالم الثالث » ، وتطلعت هذه البلدان لمساعدة الاتحاد السوفيتى ، الذى ركز على الاستثمار فى السلع الرأسمالية ومعدات الدفاع وغزو الفضاء ، وفى إنتاج أهم السلع التى تحتاجها هذه البلدان وهى

الأسلحة والذخائر .. وكان هذا على حساب غيرها من السلع الاستهلاكية اللازمة للمواطنين[1] .. فحدث خلل فى هيكل الاقتصاد ، الذى أصبح يعانى من خلل فى جانب آخر ، بسبب ثبات الأجور والأسعار وانفصالها كلية عن الأسعار العالمية ، وتعطل قوى السوق الداخلية ، فأصبحت معظم السلع تباع بسعرين : سعر رسمى معلن ، وآخر خفى وغير قانونى (فى السوق السوداء) .. وتضخم الدعم الحكومى للسلع والخدمات .

وبسبب القهر الذى كان يشعر به الشعب السوفيتى ، والفراغ الروحى الذى عانوا منه ، فقد انتشر إدمان الخمر انتشاراً أصبح بمثابة ظاهرة عامة ، ومرض اجتماعى مزمن[2] .

وقد انعكس هذا المرض الاجتماعى الذى كان يصاحبه - بالضرورة - الإحباط وفقدان الأمل ، انعكس على الإنتاج بصفة عامة ، وفى المزارع بصفة خاصة ، الأمر الذى دفع الاتحاد السوفيتى إلى استيراد القمح من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعض السلع الغذائية

---

(١) د. فوزى طايل ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) يرجع إلى دراسة الاقتصادى «فلاديمير ترمل» Vladimir G.Treml التى يقرر فيها الزيادة الحادة فى إدمان الخمر خلال عقدى الستينيات والسبعينيات لمن تزيد سنهم عن ١٥ عاماً ، بحيث بلغ الانفاق على الكحوليات ٨٣٪ من دخل الفرد فى الاتحاد السوفيتى .

Alcohol in the USSR : A Statistical Study (Durham, N. C. Duke University Press, 1982.

الأخرى من البلدان التى كانت لها « صفقات تجارية متكافئة » مع الاتحاد السوفيتى .

وقد تم رصد انخفاض مستمر فى الدخل القومى الإجمالى السوفيتى ، ونقص فى إنتاجية كل من العمل ورأس المال بداية من الخطة الخمسية (١٩٧١ ـ ١٩٧٥)[٣] الأمر الذى يدل على تدهور متزايد فى إدارة اقتصاد البلاد ، وتناقص فى معدلات النمو .. كما أصبح الكثير من ذوى الكفاءات الفنية النادرة يتطلعون إلى الهجرة إلى البلاد الغربية .

حدث خلل ـ أيضا ـ فى التوزيع ، تبعاً للخلل فى الإنتاج ، فقد كانت هناك فروق كبيرة فى الدخول النقدية والحقيقة بسبب تمييز بعض الفئات ومنحهم عملات لها نفس المسمى (روبل) ، لكن قدراتها على الشراء متباينة ، بل ويمكن التعامل ببعضها فى محلات متميزة (بريوسكا) ، تبيع بضائع مختلفة ـ من حيث الجودة ومصدر الانتاج ـ عن تلك التى تباع فى السوق العادية ، ولا يسمح بدخولها إلا لمن يحملون تلكم العملات المتميزة (روبل سيرتيفيكا) .. وهذا مسلك يتناقض تماماً ومبادىءالنظرية الماركسية التى تقوم أساساً على إيجاد مجتمع بلا طبقات ، يتساوى فيه الناس جميعا .. وهى فكرة وهمية لاتتفق وسنة الله فى خلقه ، إذ خلق الله ـ تعالى ـ الناس ، وفضل بعضهم على بعض فى الرزق ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ..

---

(3) **Franklyn D. Holzman, "The Soviet Economy", Foreign policy Association, Headline series, No. 260. (September — October 1982).**

ولقد امتد التمايز والخلل فى التوزيع إلى مجال تقديم الدولة للخدمات الصحية ، والإسكان ، وأماكن قضاء الأجازات ، وسائر الميزات الأخرى(٤) .

ويضاف إلى هذه الظواهر ظاهرة أخرى خطيرة ، وهى : إنه فى الوقت الذى كانت معدلات الوفيات تقل فى كل أنحاء العالم كانت معدلات الوفيات تزداد فى كل الشرائح العمرية فى الاتحاد السوفيتى ، خاصة فى الأطفال(٥) .

وعلى أى حال فإن توقعات انهيار الاتحاد السوفيتى قد بدت فى كتابات المهتمين بشئونه فى الغرب منذ السبعينيات ومن هذه الكتابات ما نشرته جريدة « لوموند ديبلوماتيك » Le Monde diplomatique الشهرية المتخصصة فى الشئون السياسية والاستراتيجية فى عدد مايو ١٩٧٩ م تحت عنوان : « شتاء الاشتراكية » L'hiver du Socialisme ونقله إلى مؤلفه : « الاشتراكية فى ذمة التاريخ » ، « ميشيل بود »(٦) (Michel Beaud)أستاذ العلوم الاقتصادية « بجامعة باريس » ، وقام بمناقشته ، ومنه يتضح أن تطبيق النظرية الاشتراكية الماركسية قد أتى بعكس مقدماتها ، والنتائج التى كانت متوقعة لها .

وليس هذا بسبب خطأ فى التطبيق ، كما يدعى المدافعون عن

(4) Gabriel A. Al Mond & Binghan Powell, Jr., P 349.

(5) Christopher Davis and Murray Feshbach, "Rising Infant Mortality in the USSR in the 1970s", U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census, Series P-95, No. 74 (September 1980).

(6) Michel Beaud, Le Socialisme A L'Epreuve De L'histoire (1800 — 1981), Seuil, 1982, PP. 243 — 271.

الماركسية فى أمتنا الإسلامية بعد الصدمة التى أصابتهم من جراء انهيار الاتحاد السوفيتى ، وقد كانوا يستمدون منه مدد عقيدتهم الوضعية ، ومكانتهم الثقافية والفكرية فى المجتمع ، بل إن السبب يكمن فى أن النظرية الماركسية بنيت على وهم وخيال ، ومحاولة خلق سنة تخالف سنة الله ـ تعالى ـ فى خلقه[7].. ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر : ٤٣

وتحت عنوان شاهد على العصر ، قدم د. حازم الببلاوى[8] لكتاب الغزو القاتل أو أخطاء الاشتراكية لمؤلفه الاقتصادى النمساوى فردريك فون هايك ـ المتوفى فى (٢٣ مارس ١٩٩٢ م) عن عمر يناهز ٩٢ عاماً ـ بقوله :

« إن النظم الشمولية تسعى جميعاً لإدارة المجتمع بشكل شامل ، وهو ما يطلق عليه عادة التخطيط الشامل والمركزى . ويلاحظ أن اصطلاح التخطيط كثيراً ما يكون مضللاً . فلاشك أن أهم ما يميز الإنسان هو القدرة على التخطيط والإعداد للمستقبل . وهنا تظهر أهمية الحساب الاقتصادي كضرورة ـ وخصوصاً ـ فى المجتمعات الحديثة . فالجميع مطالب بالتخطيط والإعداد والتدبير ، بل إن نظم السوق نفسها تحتاج إلى تدخل من الدولة بناء على تخطيط للحاجات الأساسية

---

(٧) انظر د. فوزى طايل ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

(٨) انظر : ف.ا. هايك ، الغزو القاتل : أخطاء الاشتراكية ترجمة مصطفى غنيم ، وتقديم د. حازم الببلاوى ، القاهرة : دار الشروق ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ .

التى تعجز السوق عن توفيرها ؛ وبذلك يصبح التخطيط وتدخل الدولة هو الآخر مكملاً للسوق وليس بديلاً عنها .

ولكن مفهوم التخطيط المركزى يمكن أن يُجاوز ذلك المعنى ، حينما لاتقتصر الدولة على وضع الإطار المناسب للجميع للقيام بالحساب الاقتصادى ، بل إنها ـ أى السلطة المركزية ـ تحل محلهم فى إدارة المجتمع ، وتشكيل الحياة الاجتماعية بشكل كامل ؛ فالتخطيط هنا يستبعد السوق ويحل محلها .

ومع تلك الإدارة الشاملة والمركزية للمجتمع ، وقيام السلطة باتخاذ القرارات التنفيذية فى كل ما يتعلق بمختلف أوجه النشاط ، ينفتح الباب للتحكم والبعد عن فكرة دولة القانون ، أو بعبارة أخرى فإننا نكون بصدد ما يمكن أن نطلق عليه اقتصاد الأوامر بالمقابلة باقتصاد القواعد . وتلعب فكرة القواعد و دولة القانون دوراً محورياً فى تصور « هايك » عن المجتمع الحر . وعندما يتحدث « هايك » عن دولة القانون فإنه يقصد : أن تكون جميع أفعال الحكومة محددة وفقاً لقواعد عامة معروفة مسبقاً ، بما لا يترك مجالاً للتحكم أو المفاجأة أمام أفعال الحكومة . وقد عنى هايك ـ وبخاصة ـ فى مؤلفاته اللاحقة بتعميق وشرح معنى حكم القانون أو حكم القواعد العامة لنشاط الحكومة ، وأوضح كيف أن توسع الدولة فى التخطيط المركزى يبعدها ـ بالضرورة ـ عن فكرة دولة القانون لتصبح دولة أوامر . وبالمثل فإن التوسع فى دور الدولة والتخطيط المركزى لابد وأن يتناقض مع اعتبارات الديمقراطية . ويمكن الإشارة هنا إلى اعتبارين :

الأول : إنه إذا كان من السهل أن يتحقق الاتفاق العام حول عدد قليل من الأمور الأساسية فى تدخل الدولة ، فإنه يصعب تحقيق مثل هذا الاتفاق العام كلما امتد نشاط الدولة إلى ميادين جديدة تؤدى بالضرورة إلى ظهور آراء ومصالح متعارضة ؛ ولذلك فإن مزيداً من التوسع فى التخطيط المركزى يعنى الدخول فى ميادين جديدة يختفى فيها الاتفاق العام وتتزايد الآراء والمصالح المتعارضة .

أما الاعتبار الثانى : فإنه يرجع إلى أن التوسع فى مدى التخطيط المركزى يتطلب مزيداً من الاعتماد على الفنيين الإخصائيين . ومن الطبيعى ألا تتوقف خيارات هؤلاء على الاعتبارات الفنية وحدها بل تتوقف أيضاً على تفضيلاتهم الشخصية وهى لاتتفق بالضرورة مع رغبات الأغلبية ؛ وهكذا يؤكد « هايك » أن السيطرة الاقتصادية لابد وأن تنتهى إلى نوع من النظم الشمولية . ويتعرض « هايك » إلى نوعية الحكام والمسئولين فى النظم الشمولية ، ويعتقد أن طبيعة هذه النظم ذاتها ــ وليست الصدفة ــ تستبعد عادة أفضل العناصر ، وكثيراً ما تستند إلى العناصر الانتهازية والأدنى ثقافة . وفى أحد فصول واحد من مؤلفاته يناقش هايك « نهاية الحقيقة » فى ظل النظم الشمولية والتى تضطر إلى تعبئة الرأى العام وراء خططها وقراراتها دون كثير من الاعتبار للحقيقة ذاتها ؛ « فالمصلحة العامة » ــ هكذا يعتقد المسئولون ــ تبرر كل شىء ، وهى القضية التى تناولها « جورج أورول » فى كتابه الشهير « ١٩٨٤ » حيث عرض لنا وصفه « لوزارة الحقيقة » ، وهى ، فى الحقيقة ، «وزارة الكذب» .

المبحث الأول

الأهمية النسبية لكل من اقتصاد روسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز

أولاً : الأهمية النسبية للاقتصاد الروسى فى دول الكومنولث :

طبقاً لتقديرات المنظمات الاقتصادية الدولية والغربية ، فضلا عن المصادر الروسية للبيانات ؛ فإن روسيا تستأثر بالنصيب الأعظم من عوامل القوة الموروثة عن الاتحاد السوفيتى ؛ إذ تنفرد بأهم القدرات العسكرية والجيوبوليتيكية والديموجرافية والعلمية والتكنولوجية وتسيطر - تقريباً - على موارد البترول وعلى حصة هامة من الموارد المعدنية وغيرها من الموارد الطبيعية . وفى ذات الوقت فإن روسيا تتمتع بمستوى أعلى من التصنيع وتستحوذ على النسب الأهم من الانتاج الصناعى والمنتجات الصناعية ، فضلا عن الارتفاع النسبى لمتوسط دخل الفرد والمستوى الأعلى لإنتاجية العمل ، إلى جانب هذا ، نلاحظ استئثار روسيا بالنصيب الأكبر من صادرات وواردات الاتحاد السوفيتى السابق .

فعلى سبيل المثال فى عام ١٩٩٠ بلغ سكان روسيا حوالى ٥١,٤٪ فى حين استوعبت ٥٧٪ من قوة العمل ، ٥٨٪ من العمالة الصناعية مقابل ٣٨٪ من العمالة الزراعية وذلك إلى إجمالى الاتحاد السوفيتى .

وقدمت روسيا ٦٢٪ من الناتج المحلى الإجمالى و٦١٪ من ناتج القطاعات السلعية و٦٢٪ من الناتج الصناعى و٥٢٪ من الناتج الزراعى كما قدمت ٩٠٪ من إنتاج البترول والمكثفات ، ٧٩٪ من الغاز الطبيعى و٥٦٪ من المنتجات المعدنية و٦١٪ من الصلب ، ٨٨٪ من سيارات الركوب و٧٦٪ من الجرارات الزراعية و٥٦٪ من السلع الاستهلاكية و٦٠٪ من الأسمنت و٦٥٪ من البوليثيلين و٩٢٪ من الأخشاب و٧٢٪ من المصنوعات القطنية .

واستحوذت على ٧٥,١٪ من المشروعات الصناعية العسكرية ، ٨٤,٣٪ من مؤسسات البحث والتطوير ، وقدر متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى ١١٤٪ ومن الاستهلاك ١٠٨٪ ومن الثروة القومية ١١٧٪ كما بلغت إنتاجية العمل الصناعى ١١٠٪ والزراعى ١٠٨٪ وذلك بالمقارنة مع المتوسط للاتحاد السوفيتى السابق فى ١٩٩٠ ، وقد انفردت روسيا بنحو ٨٢٪ من الصادرات السوفيتية بالعملات الحرة بينما نالت ٧١٪ من الواردات بالعملات الحرة ونالت ٨٨٪ من إجمالى الصادرات و٦٨٪ من إجمالى الواردات إلى جميع الدول فى ذات العام .

فروسيا أقل اعتماداً على غيرها من الجمهوريات الوريثة للاتحاد السوفيتى ويظهر هذا من حجم الصادرات إلى الناتج المحلى الإجمالى ومن مؤشرات التجارة البينية للجمهوريات السوفيتية السابقة . فقد مثلت الصادرات الروسية إلى غيرها من الجمهوريات ١٨٪ من الناتج المحلى الإجمالى ، بينما تراوحت هذه النسبة بين ٣١٪ لكازاخستان ونحو

٧٠٪ لبيلاروس ، ومثلت ٣٩٪ لأوكرانيا وتراوحت من ٤٢ ـ ٥٩٪ للجمهوريات الإسلامية الأخرى وبين ٦١ ـ ٦٧٪ لجمهوريات البلطيق وبين ٥٤ ـ ٦٤٪ لكل من جورجيا وأرمينيا ومولدوفيا[٩] .

وباختصار فإن روسيا بقدراتها الشاملة الأعظم ، فضلا عن تاريخ علاقاتها بغيرها من الجمهوريات باعتبارها مركزاً للامبراطورية الروسية القيصرية والاتحاد السوفيتى السابق ، تملك أسباب وعوامل القيام بدور مركز القوة الاقليمى فى مناطق الاتحاد السوفيتى السابق .

روسيا ورثت جميع عوامل ضعف الدولة السوفيتية على النحو الذى طرحناه .

ونكتفى هنا بالاشارة إلى بعض مؤشرات الضعف الاقتصادى قبل أن يتفاقم مع الانهيار الاقتصادى بعد تفكك الاتحاد السوفيتى وسقوط النظام القديم .

ونلاحظ مثلا أن انتاجيه العمل الصناعى الروسى لم تتجاوز ٢٨٪ ، وانتاجية العمل الزراعى لم تتعد ١٠٪ وذلك بالمقارنة مع مستويات إنتاجية العمل الأمريكى على الترتيب .

ولا تتعدى صادرات روسيا ٣٪ من إجمالى الصادرات العالمية ، يتجه ثلثها فقط إلى أسواق العملات الحرة بينما تمثل المواد الأولية حوالى ٥٠٪ من الصادرات العالمية لروسيا .

---

(٩) د. طه عبدالعليم ـ مصر والكومنولث الروسى ـ كراسات استراتيجية ، مركز الدراسات السياسية بالأهرام ـ القاهرة ـ يناير ١٩٩٣ م ، ص ١٣ ـ ١٤ .

وأما حصة روسيا من الناتج المحلى بالنسبة للإجمالى العالمى فإنها تقل عن ٢,٥٪ وبذلك تقل حصة روسيا من الصادرات العالمية والناتج العالمى عن جميع القوى الكبرى ولاتتعدى ٣٢٪ ، ١٦٪ من حصص اليابان ٢٢٪ ، ٩٪ من حصص الولايات المتحدة الأمريكية من الصادرات والناتج العالميين على الترتيب(١٠) .

ثانياً : الأهمية الاقتصادية النسبية لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية

تتفاوت بوضوح القدرات النسبية للجمهوريات الإسلامية المستقلة ، كما يتفاوت تطورها النسبى ويبرز بوضوح تفوق كازاخستان ، وأوزبكستان .

القدرات النسبية للجمهوريات الإسلامية المستقلة :

تنفرد كازاخستان بامتلاك الأسلحة النووية الاستراتيجية ، وتمثل كازاخستان شاملة ما ألحق بها من أراضي روسية ٦٦,٦٪ من إجمالى مساحة جمهوريات الكومنولث الإسلامية .

وتبلغ الأخيرة أربعة ملايين كيلو متر مربع أو ١٨,٢٪ من إجمالى مساحة الاتحاد السوفيتى السابق وعشية الاستقلال بلغ عدد سكان الجمهوريات الإسلامية الاتحادية حوالى ٥٨ مليون نسمة أو حوالى ٢٠٪ من إجمالى سكان الاتحاد السوفيتى السابق .

---

(١٠) د. طه عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

وضمت أوزبكستان وكازاخستان وحدهما ٣٧,٥ مليون نسمة أو ٦٥٪ من إجمالى سكان الجمهوريات الإسلامية الست .

وبلغت مساهمة هذه الجمهوريات حوالى ١٣,٤٪ من إجمالى الناتج المحلى للاتحاد السوفيتى السابق وكانت المساهمة الأهم لكازاخستان وأوزبكستان حوالى ٩,٣٪ من الإجمالى السوفيتى .

وكانت حصة مجموعة الجمهوريات الإسلامية حوالى ١٢,٧٪ من الثروة القومية السوفيتية .

وأما حصة كازاخستان وأوزبكستان فقدرت بحوالى ٨,٨٪ من الإجمالى السوفيتى بينما ساهمت جميع الجمهوريات الإسلامية الست بحوالى ٨,٢٪ من الناتج الصناعى السوفيتى و١٦,٩٪ من الناتج الزراعى السوفيتى . وبلغت مساهمة كازاخستان وأوزبكستان ٥,٢٪ ، ١١,٨٪ من إجمالى الناتج الصناعى والناتج الزراعى السوفيتى على الترتيب[١١] .

مستوى التطور الاقتصادى بين جمهوريات الكومنولث الإسلامية :

فى عام ١٩٩٠ تراوح متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى الاجمالى بين ٩٠٪ فى كازاخستان ، و٥٠٪ فى طاجيكستان بالمقارنة مع المتوسط السوفينى ، وبين ٢٧٪ و١٥٪ بالمقارنة مع المتوسط المقابل فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتراوحت حصة الفرد من الاستهلاك بين ٨٤٪ فى كازاخستان

(١١) د. طه عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

و٤٨٪ فى طاجيكستان بالمقارنة مع المتوسط السوفيتى ، ومن ١٧٪ و١٠٪ بالمقارنة مع المتوسط الأمريكى .

وتفاوت مستوى إنتاجية العمل فى الصناعة بين ١٠٠٪ فى تركمانيا مع العلم بأنها ساهمت بنحو ٤,٠٪ فقط من الناتج الصناعى السوفيتى ، ٦٠٪ فى اذربيجان بالمقارنة مع المتوسط السوفيتى و٢٥٪ ، و١٥٪ بالمقارنة مع المتوسط الأمريكى .

وأما إنتاجية العمل فى الزراعة فقد تراوح مستواها بين ١٠٠٪ فى كازاخستان مع ملاحظة أنها ساهمت بنحو ٦,٩٪ من انتاج الزراعة السوفيتية وما يقرب من نصف الانتاج الزراعى للجمهوريات الإسلامية الست ، ٦٠٪ فى طاجيكستان بالمقارنة مع المتوسط السوفيتى و٩٪ ، ٥٪ بالمقارنة مع المتوسط الأمريكى على الترتيب .

وبرغم التأخر النسبى شهد اقتصاد الجمهوريات تطورات ضخمة بالمقارنة مع أوضاع ما قبل قيام الاتحاد السوفيتى ، وبالمقارنة مع دول الجوار الآسيوية :

كما تضم موارد اقتصادية هامة زراعية وتعدينية وبترولية ، وتتوزع فيها بعض الصناعات الأحداث فى الاتحاد السوفيتى السابق[١٢] .

وقد انخرطت فى علاقات تبادل تجارى متنامية مع العالم الخارجى قبل الاستثمار المباشر فيها ولكن حصتها فى عام ١٩٩٠ نحو ٢,٩٪ زمن المشروعات التى بدأت النشاط و٤,٣٪ من قيمة الإنتاج بالمقارنة مع الإجمالى السوفيتى وتركزت كلها تقريبا فى كازاخستان وأوزبكستان .

(١٢) د. طه عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

جدول رقم (١)

المؤشرات الاقتصادية العامة لدول الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠

الجمهورية	السكان ٪	الناتج القومي الاجمالي ٪	الإنتاج		نصيبها من الثروة القومية ٪
			الصناعي٪	الزراعي ٪	
روسيا	٥١,٠	٥٨,٧	٦٦,٤	٦٤,٢	٦٠,٠
أوكرانيا	١٨٠,٠	١٦,٥	١٦,٠	٢٢,٥	١٦,٨
بيلوروسيا	٣,٦	٣,٨	٤,١	٥,٩	٣,٧
استونيا	٠,٥	٠,٧	٠,٧	٠,٩	٠,٧
لاتفيا	٠,٩	١,٢	٠,٨	١,٤	١,١
ليتوانيا	١,٣	١,٦	١,٢	٢,٢	١,٤
مالدوفيا	١,٥	١,٢	٠,٨	٢,٢	١,٤
جورجيا	١,٩	١,٧	١,٢	١,٤	١,٦
أرمينيا	١,١	١,٣	٠,٨	٠,٦	٠,٩
أذربيجان	٢,٥	١,٤	١,٧	١,٨	١,٦
كازاخستان	٥,٨	٥,٣	٣,٥	٦,٩	٥,٣
أوزبكستان	٧,٠	٤,٠	١,٧	٤,٦	٣,٥
قرغيزيا	١,٥	٠,٩	٠,٥	١,٣	٠,٨
تركمانستان	١,٢	٠,٩	٠,٤	١,١	٠,٨
طاجكستان	١,٨	٠,٩	٠,٤	١,٠	٠,٨

المصدر: جريدة (دلائل ووقائع) بالروسية العدد ٣٩ ، أكتوبر ١٩٩١ . عن مجلة شئون سوفيتية ، العدد الأول ، ص ٥٥ .

جدول رقم (٢)

مستوى التطور الاقتصادى للجمهوريات فى عام ١٩٩٠

الجمهورية	نسبة مئوية بالنسبة إلى متوسط معدل الاتحاد السوفيتى ٪			إنتاجية العمل	
	إجمالى الانتاج القومى للفرد الواحد	إستهلاك الفرد	الثروة القومية للفرد الواحد	الصناعى	الزراعى
روسيا	١١٤	١٠٨	١١٧	١١٠	١٠٨
أوكرانيا	٩٢	٩٧	٩٣	٨٠	١٠٨
بيلوروسيا	١٠٦	١٠٨	١٠٣	١٠٣	١٢٨
استونيا	١٤٠	١٥١	١٤٠	١١٥	١٥٢
لاتفيا	١٣٣	١٣٧	١٢٢	١٠٥	١٣١
ليتوانيا	١٢٣	١٢٧	١٠٨	١٠٣	١٥٢
جورجيا	٩٠	٩٥	٨٤	٩٠	٦٢
أرمينيا	١١٨	٩٣	٨٢	٧٥	٧٦
أذربيجان	٥٦	٥٧	٦٤	٦٠	٦٨
كازاخستان	٩٠	٨٤	٩١	٩٠	١٠٠
أوزبكستان	٥٦	٥٩	٥٠	٦٠	٥٦
قرغيزيا	٦٠	٦٦	٥٣	٦٥	٧٤
تركمانستان	٧٥	٦٦	٦٧	١٠٠	٦٦
طاجيكستان	٥٠	٤٨	٤٠	٧٥	٦٠

المصدر: جريدة (دلائل ووقائع) بالروسية ـ العدد ٣٩ أكتوبر ١٩٩١ ، عن مجلة شئون سوفيتية ، العدد التجريبى الأول ـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٢ .

جدول رقم (٣)

متوسط نصيب الفرد فى الدخل القومى لعام ١٩٨٩ بالدولار

الجمهورية	متوسط نصيب الفرد	الجمهورية	متوسط نصيب الفرد
لاتفيا	٦٧٤٠	جورجيا	٤٤٤٠
استونيا	٦٢٤٠	ماندافيا	٣٨٣٠
بيلوروسيا	٥٩٦٠	أذربيجان	٣٧٥٠
ليتوانيا	٥٨٥٠	كازاخستان	٣٧٢٠
روسيا	٥٨١٠	تركمانستان	٣٣٧٠
الاتحاد السوفيتى	٤٧١٠	قرغيزيا	٣٠٣٠
أرمينيا	٤٧٠٠	أوزبكستان	٢٧٥٠
أوكرانيا	٤٧٠٠	طاجيكستان	٢٣٤٠

المصدر :

كتاب الاتحاد السوفيتى بالارقام (بالروسية) : اللجنة الحكومية للإحصاء ١٩٨٩ . ص ٣١٦ .

عن مجلة مستقبل العالم الإسلامى ص ١٤٠ ـ وأنظر أيضا : مجلة شئون سوفيتية العدد الأول ص ٥٧ .

جدول رقم (٤) مستوى التطور الاقتصادى لجمهوريات الاتحاد السوفيتى

الجمهوريات	الاتحاد السوفيتي = ١٠٠					الولايات المتحدة = ١٠٠				
	متوسط نصيب الفرد من ن.م.ا	متوسط نصيب الفرد من الاستهلاك	متوسط نصيب الفرد من الثروة القومية	انتاجية العمل		متوسط نصيب الفرد من ن.م.ا	متوسط نصيب الفرد من الاستهلاك	متوسط نصيب الفرد من الثروة القومية	انتاجية العمل	
				الصناعة	الزراعة				الصناعة	الزراعة
روسيا	١١٤	١٠٨	١١٧	١١٠	١٠٨	٣٤	٢٢	٣٩	٢٨	١٠
اوكرانيا	٩٢	٩٧	٩٣	٨٠	١٠٨	٢٨	٢٠	٣١	٢٠	١٠
روسيا البيضاء	١٠٦	١٠٨	١٠٣	١٠٣	١٢٨	٣٢	٢٢	٣٦	١٢	١٢
ليتوانيا	١٢٣	١٢٧	١٠٨	١٠٣	١٥٢	٣٧	٢٥	٣٦	٢٦	١٤
لاتفيا	١٣٣	١٣٧	١٢٢	١٠٥	١٣١	٤٠	٢٧	٤٠	٢٦	١٣
استونيا	١٤٠	١٥١	١٤٠	١١٥	١٥٢	٤٢	٣٠	٤٦	٢٩	١٤
مولدافيا	٨٠	٨٥	٨٠	٧٥	٨٣	٢٤	١٧	٣٦	١٩	٧
جورجيا	٩٠	٩٥	٨٤	٩٠	٦٢	٢٧	١٩	٢٨	٢٣	٦
ارمينيا	١١٨	٩٣	٨٢	٧٥	٧٦	٣٥	١٨	٣٧	٢٠	٧
اذربيجان	٥٦	٥٧	٦٤	٦٠	٦٨	٦٧	١١	٢١	١٥	٦
كازاخستان	٩٠	٨٤	٩١	٩٠	١٠٠	٢٧	١٧	٠٣	٢٣	٩
اوزبكستان	٥٦	٥٩	٥٠	٦٠	٥٦	١٧	١٢	١٦	١٥	٥
قيرجيزتان	٦٠	٦٦	٥٣	٦٥	٧٤	١٨	١٣	١٧	١٦	٧
تركمنيستان	٧٥	٦٦	٦٧	١٠٠	٦٦	٢٢	١٣	٢٢	٢٥	٦
طاجيكستان	٥٠	٤٨	٤٠	٧٥	٦٠	١٥	١٠	١٣		١٨

المصدر : جريدة « حقائق وبراهين » العدد ٣٩ اكتوبر ١٩٩١ (عدد ٥٧٢٠) باللغة الروسية

أنظر أيضا : طه عبدالعليم ، ورثة الاتحاد السوفيتي ومصر الكومنولث ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٠٨) ، ابريل ١٩٩٢، ص ١٣٠

جدول رقم (٥)

المديونية الخارجية لمجموعة الدول المستقلة (بلايين الدولارات) ت)

طويلة ومتوسطة الأجل	اعتمادات غير مشروطة	٢٠ر٤
	اعتمادات مشروطة	٢٤ر٢
	اعتمادات تصدير	٤ر٦
	سندات	١ر٧
	اعتمادات غير مضمونة	٢
قصيرة الأجل	اعتمادات تحويل	٣
	خطابات اعتماد	٥
	متأخرات على الاستيراد	٤ر٢
	المجموع	٦٥ر٣
توزيع مسؤولية السداد	روسيا	٦١ر٣٤
	أوكرانيا	١٩ر
	بيلوروسيا	٤ر١٣
	كازاخستان	٣ر٢٧
	جمهوريات اخرى	١٤ر٤٦

المصدر : INTERNATIONAL TIME , SEPT. 9 , 1991

وأنظر أيضاً مجلة شئون سوفيتية ، المرجع السابق ، ص ٥٧

المبحث الثانى
الإنتاج الزراعى

هذه الجمهوريات كانت تنتج ٩٦٪ من انتاج القطن و٧٨٪ من إنتاج الصوف بالاتحاد السوفيتى ، وجمهورية كازاخستان وحدها تنتج ٣٣٪ من إجمالى إنتاج الاتحاد السوفيتى من القمح وجمهورية أوزبكستان تأتى فى المرتبة الثانية فى العالم من حيث انتاج القطن ومنتجاته كزيت بذرة القطن . ذلك فى الوقت الذى لم تتعد نسبة عدد سكان هذه الجمهوريات ١ : ٥ من سكان الاتحاد السوفيتى سابقا . ويوضح ذلك حجم الدعم الزراعى الذى كانت تعطيه الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفيتى والذى سيمثل بعد استقلالها دعماً قوياً لاقتصادها القومى حيث يمكن تصدير فائض انتاجها الزراعى إلى مختلف دول العالم وخاصة جيرانها من الدول الإسلامية والدول العربية[١٣] .

ويوضح الجدول رقم (٦) مدى تنوع ووفرة الانتاج الزراعى فى الجمهوريات الإسلامية (متوسط انتاج عامى ١٩٨٧ و١٩٨٨ م) .

---

(١٣) د . علاء الدين مصطفى المنوفى ، الامكانيات الاقتصادية والبشرية للجمهوريات الإسلامية الحديثة فى آسيا الوسطى والقوقاز ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز المجلد السابع ، ص ٩ - ١١ .

جـدول رقم (٦)

الإنتاج	الوحدة	كازاخستان	تركمانستان	أوزبكستان	قيرغيزيا	طاجكستان	أذربيجان
إنتاج نباتى غذائى :							
حبوب	ألف طن	٢٥٠٠٢	٧٩٠	٢٠١١	١٨٣٣	٣٧٠	١٢٦٧
بطاطس	ألف طن	٢١٦٣	٣٦	٢٨٦	٣١٠	١٨٧	١٨٤
خضروات	ألف طن	١٢٧٢	٣٦٠	٢٦٥٩	٥١٩	٥٣٣	٦٨٧
بطيخ وشمام	ألف طن	—	٢٨٢	٨٥٣	—	١٤٩	—
عنب	ألف طن	١١٧	١٦٠	٦٤٦	٣٢	١٥٤	١٣٩٩
فواكه	ألف طن	٢٣٩	٤٨	٦٠٩	١١٥	—	٤٣٢
بنجر السكر	ألف طن	١٥٤٠	—	—	—	—	—
عباد الشمس	ألف طن	٣١٨	—	—	—	—	—
شاى	ألف طن	—	—	—	—	—	—
إنتاج الألياف :							
قطن خام	ألف طن	—	١٣٠٦	٥١١٢	٧٦	٩١٨	٦٥٩
إنتاج حيوانى :							
لحوم	ألف طن	٨٥٨	٣٩	٢٦١	١٢١	٦٤	٨٤
صناعات غذائية :							
لحوم مصنعة	ألف طن	—	١٧	٥٧	٢١	١٧	٢٨
زبد حيوانى	ألف طن	٧٩	٤	١٥	١٣	٦	٥
منتجات البان	ألف طن	١٤٢٧	١١٦	٦٣٥	٢٤٩	١٤٧	٢٣٧
زيوت نباتية	ألف طن	٨٣	١٠٢	٥٠٤	١٤	—	٥٤
سكر	ألف طن	٣٣١	—	—	٤٠٧	—	—
معلبات	مليون وحدة	٤٥٩	٥٦	١١٦٧	١٥٧	٩٢	٨٠٠

عن وزارة الزراعة المصرية ونشرات متعددة عن الزراعـة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى (سابقا) .

أثر النظام الاقتصادى الاشتراكى السوفيتى على الزراعة فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز :

عندما نلقى نظرة على توزيع سكان هذه الجمهوريات على القطاعات المختلفة ، نجد أن الصناعة لم يتوفر فيها النمو المطلوب بما فيه الكفاية ، وعلى الرغم من الفروق الكبيرة بين هذه الدول ، فإن قطاع الزراعة يستخدم ما يقرب من ٤٠٪ من الأيدى العاملة فى هذه الجمهوريات . وإن العاملين فى القطاع الزراعى ، إما أنهم يعملون فى المؤسسات الحكومية الزراعية ، أو أنهم يعملون فى جمعيات تشبه فى تركيبها إلى حد كبير الجمعيات التعاونية الزراعية ، وإن البيروقراطية الواسعة التى تتحكم فى القطاع الزراعى حالت دون زيادة المحاصيل الزراعية ، وإنما أثرت تأثيرا مباشرا فى هبوط الكميات المنتجة .

وإن كثافة العمالة فى القطاع الزراعى من حيث العدد ، والمحاولات التى بذلت فى سبيل زيادة كميات المحاصيل الزراعية باءت بالفشل ، ولم تؤد إلى أى زيادة فى كميات المحصول ، وإنما انعكس الأمر ، وأدى إلى الهبوط فى كميات الإنتاج الزراعى بشكل ملاحظ حيث لم تتم الاستفادة من التقنية الحديثة فى هذا المجال ، وبالتالى لم تتمكن من زيادة كميات المحاصيل الزراعية ، وإنما تركت تحت رحمة الظروف والعوامل الطبيعية . وعلى الرغم من أن الجمهوريات الحديثة سعت جاهدة وبخطوات سريعة ـ فى ضوء التجارب السابقة ـ إلى تحويل

الزراعة إلى القطاع الخاص ، ونقل ملكية الأراضى الزراعية إلى المزارعين بغرض زيادة كميات المحصول الزراعى ، وعلى الرغم من مرور عامين على ذلك فلم يتم قطع مسافة كافية فى هذا المجال . حيث لم يتم تحقيق أكثر من ٣٥٪ من الأهداف التى تم التخطيط لها .

ومن الأسباب الرئيسية فى ذلك أن المزارع الذى يرغب فى شراء الأرض وزراعتها لا يتوفر لديه مصادر للتمويل المالى ، وأن الدولة التى ينتمى إليها وينتظر منها وضع الحلول المناسبة للأمر لا تمتلك هى بالتالى الإمكانيات المالية لتقديم الدعم المالى لمواطنيها من المزارعين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن تحديد كمية الأرض التى تمنح للمزارعين بخمسة وعشرين دكارا لكل مزارع جعل المستقبل مجهولا وأثر سلبا على المستثمرين الأجانب . ومن جهة أخرى فإن توفر قطع غيار الآليات والمعدات الزراعية وتصنيعها يتم فى جمهوريات مختلفة حسب ما تم تخطيطه فى عهد الإتحاد السوفيتى وبالتالى عدم إمكانية تغيير القطع القديمة والتالفة بسهولة تواجهها كمشكلة رئيسية أخرى[١٤] .

ويعد من الأسباب الرئيسية فى هبوط كميات المحاصيل الزراعية بأقل مما تم التخطيط لها فى عهد الاتحاد السوفيتى السابق عدم استخدام المعدات الزراعية الرئيسية والتى تعتبر من رأس المال مثل الجرارات الزراعية والحصادات فى الأماكن المطلوبة وفى الأوقات المناسبة ، حيث كان عدد الجرارات الزراعية فى الاتحاد السوفيتى ٢٦٥٠٠٠٠ جرارا

---

(١٤) د . حشمت بشار ، الظواهر الاجتماعية والاقتصادية لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز . مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد السابع ، ص ٦٢ .

زراعيا والحصادات ٧٠٠٠٠ حصادا فى ١٩٨٩ م ، وحدث فى هذه الدول فى هذه الفترة هبوط حاد فى عدد المعدات المذكورة والقابلة للتشغيل بدلا من الزيادة مع مرور الوقت حيث كان ثلث هذه المعدات فى حالة غير صالحة للتشغيل .

إن بعض الدول التى حصلت على استقلالها فى الفترة ما بين ١٩٩٠ - ١٩٩٣ م وبخاصة أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان لم تجد الوقود الكافى لتشغيل المعدات الزراعية المذكورة فى زمن الحصاد وأصيبت بأضرار كبيرة فى إنتاج المحاصيل الزراعية من الحبوب والقطن والتى كانت قد تحولت إلى الميكنة الزراعية ، واضطرت هذه الدول إلى صرف العملة الصعبة المحدودة التى تمتلكها فى سبيل الحصول على المواد الغذائية الضرورية وأصبحت مضطرة لقبول هبات من الدول الغربية فى هذا السبيل . واضطرت طاجيكستان التى عانت سنة ١٩٩٢ م من كساد إقتصادى إلى توظيف ثلاثة أرباع استيرادها بغرض تأمين المواد الغذائية الضرورية إلى جانب المساعدات الأمريكية من القمح بمبلغ ٣٢ مليون دولار أمريكى[١٥] .

---

(١٥) المرجع ، ص ٦٣ .

المبحث الثالث

الإنتاج الصناعى

تتمتع الجمهوريات الإسلامية بقيام بعض الصناعات الضخمة والتى تمثل صرحا اقتصاديا ضخما كان يعتمد عليه الاتحاد السوفيتى اعتمادا كبيرا قبل تفككه . فنظرا لتوافر المعادن غير الحديد فى جمهورية كازاخستان؛ قامت بها الصناعات المتقدمة مثل صناعة الصواريخ والصناعات النووية والالكترونية ، كما أن جمهورية أوزبكستان والتى يعمل بها ٤ ملايين عامل فى مجال الصناعة تتوافر فيها صناعة الكيماويات ومعدات البناء والماكينات الزراعية وآلات النسيج ، ونظرا لتوافر البترول فى جمهورية أذربيجان فيتم بها انتاج معدات استخراج البترول وصناعة تكرير البترول والصناعات الكيماوية وصناعة المعدات الالكترونية والمنتجات المعدنية والأسمدة الزراعية والألياف الصناعية والمعدات الكهربائية ومواسير الصلب بما يمثل قلعة صناعية ضخمة يتم تصدير انتاجها إلى العديد من دول العالم . وتتوافر فى جمهورية طاجيكستان الصناعات الثقيلة والتى تعتمد على الفحم الحجرى والقوة الهيدرولكية والطاقة الكهربائية مثل صناعة الألمونيوم والماكينات اللازمة لمصانع النسيج وصناعة الكيماويات .

وبالنسبة لجمهورية قيرغيزيا فتقوم بها صناعة الالكترونيات وتجميع سيارات النقل وصناعة المحركات الكهربائية ، كما يتوافر بها صناعة ضخمة لانتاج السجاد وصناعات الغزل والنسيج ، وتتميز جمهورية تركمانستان بصناعة المنسوجات والملابس ، وتعتبر المنتج الرئيسي لفراء الكاراكول في العالم .

أثر النظام الاشتراكي على هيكل الصناعة في الجمهوريات الإسلامية :

لقد خطط الاتحاد السوفيتي لتنمية الصناعات بمختلف أنواعها ، بإجبار القوميات والأمم المختلفة إلى توظيف كافة الإمكانيات المتاحة في هذا السبيل . وكانت السياسة الاقتصادية للاتحاد السوفيتي تهدف بالدرجة الأولى وكمبدأ أساسي إلى إستقلال الجمهوريات التي تنتمي إلى القومية السلافيه وعلى رأسها الاتحاد الروسي . وبينما كانت جمهوريات آسيا الوسطى متخصصة في إنتاج القطن والكتان والصوف والحرير ، وبينما كانت تنتج أكثر من ٩٠٪ من الإنتاج الإجمالي للاتحاد السوفيتي ، فإن الاستثمارات التي تم القيام بها في هذه الجمهوريات توقفت في حدود نسبة ١٣٪ فقط لكافة أنواع المنسوجات . في حين تم تجميع نسبة ٧٠٪ من الاستثمارات الخاصة بالمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية في الاتحاد الروسي على الرغم من عدم وجود أي أثر له في ظهور هذه المنتجات ، وعندما نضم إليه الدول السلافية الأخرى ترتفع هذه النسبة إلى ٨٦٪ وبطبيعة الحال فإنه يمثل نموذجا آخر من الاستعمار الحقيقي .

إن الاتحاد الروسى المحروم من المصادر الطبيعية اللازمة قام بتوفير المواد الخام للصناعات المختلفة من جميع الجمهوريات ، وبخاصة من جمهوريات آسيا الوسطى ، وقام بتصنيعها داخل حدوده ، وأمن بذلك فوائد اجتماعية ، واقتصادية كبيرة ، ثم قام ببيعها إلى الجمهوريات المذكورة وبأسعار مرتفعة ، وتثبت الإحصائيات أن الاتحاد الروسى الذى يحصل على نصيب الأسد من ذلك ، يمتلك مع روسيا البيضاء وأكرانيا نسبة ٩٨٪ من الصناعات البترولية ، ومعدات حفر آبار البترول ، ونسبة ٩٤٪ من إجمالى صناعات الحديد والصلب والخشب ، ونسبة ٩٣٪ من صناعة الورق ونسبة ٩٢٪ من الصناعات البتروكيماوية ، ونسبة ٨٠٪ من إجمالى وإنتاج الغاز الطبيعى والإسمنت .

وقد أثبتت الإحصائيات أن جمهوريات آسيا الوسطى لم تتمكن من الحصول على نصيبها من الاستثمارات الصناعية خلال فترة خمسة وسبعين عاما ، خلال الفترة التى بقيت تحت سلطة الاتحاد السوفيتى . وقد تم القيام بالاستثمارات الصناعية بشكل ملفت للنظر حيث تم إنشاء المصانع للصناعات التى لا تتوفر المواد الخام لها فى نفس الجمهورية وإنما يتم إحضارها من الجمهوريات الأخرى أو تحتاج إلى احضار قطع الغيار من الجمهوريات الأخرى أو تقع خارج نطاق اختصاص العمالة المتوفرة فى تلك الجمهورية ، وقد تم إنشاء مصنع الغسالات فى كل من طاجكستان وقرغيزيا ومصنع الزجاج والمرايا فى آذربيجان ؛ ولذلك لم تثمر بالفائدة المرجوة من خلال هذه الاستثمارات . يقوم القطاع الصناعى بتوظيف

١٧٪ من الأيدى العاملة فى جمهوريات آسيا الوسطى ويمثل ذلك ٣٥٪ من إجمالى الناتج القومى لهذه البلدان[١٦] .

وحدث هبوط كبير فى كميات ونوعية الإنتاج الصناعى والناتج القومى خلال السنوات الثلاثة الأخيرة ؛ نتيجة عدم مراعاة وفرة الإنتاج ونوعيتها فى تحديد وتنظيم الأجور والرواتب وعدم إمكانية الحصول على المواد الخام والطاقة اللازمة بصورة كافية وفى الوقت المناسب ؛ إضافة إلى المسائل الاقتصادية والمالية والمشاكل الاستثمارية . واتسعت هوة العجز فى التجارة الخارجية ، وأظهرت الأرقام القياسية ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية المستخدمة فى الحياة اليومية ، وكما يظهر من خلال الجدول المرفق فإن المؤشرات السلبية التى نشأت فى الناتج القومى الإجمالى شملت كل المنطقة خلال سنة ١٩٩١ م وسجلت فى خلال سنة ١٩٩٢ م هبوطا بنسبة ٣٥٪ فى طاجكستان و٢٥٪ فى قرغيزستان و٢٢٪ فى أذربيان و١٨٪ فى تركمانستان ، وإن المؤشرات تشير إلى أن الأزمة الاقتصادية الطاحنة سوف تستمر طويلا ـ وبخاصة ـ فى المجالات الصناعية ، وإن عامى ١٩٩٣ م – ١٩٩٤ م سوف يكونان من الصعوبة بمكان لهذه البلدان .

وإن أسعار المواد الاستهلاكية قد تضاعفت خلال سنة ١٩٩١ م ،

---

(١٦) د . حشمت بشار ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

وقد تضاعفت تسع مرات خلال سنة ١٩٩٢ م ، وقد تضاعفت إثنتى عشرة مرة خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٩٣ م .

وبهذا يتضح أنه إن كانت جمهوريات آسيا الوسطى بذلت مجهودا كبيرا فى سبيل الانتقال إلى نظام السوق من جهة ، اضطرت من جهة أخرى لمحاربة التضخم المالى المرتفع ، وبالتالى واجهتها صعوبات كبيرة فى التغلب على المصاعب التى تحول دون التقليل من كمية الأضرار التى تلحق بالشعب نتيجة الارتفاع الكبير فى الأسعار(١٧) .

---

(١٧) د . حشمت بشار ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

المبحث الرابع
إنتاج البترول

كان الاتحاد السوفيتى السابق قد حقق رقما قياسيا فى عام ١٩٨٧ بلغ نحو ٦٢٤,٢ مليون طن ، أى حوالى ١٢,٨ مليون ب/ى[١٨] . وذلك بعد انخفاض ملاحظ فى الإنتاج خلال عامى ١٩٨٥/١٩٨٦ ، حيث بلغ الإنتاج فيهما ٥٩٥ مليون طن ، ٦١٥ مليون طن على التوالى ، وكان لسياسة البيروسترويكا وإصلاح نظام التجارة ، أثرها فى صناعة البترول عام ١٩٨٧ ، ولكن الإنتاج عاود الهبوط مرة أخرى ، فسجل فى عام ١٩٨٩ نحو ١٢,١ مليون ب/ى ، وفى عام ١٩٩٠ سجل هبوطا بمقدار ٩٪ عن العام السابق له ليبلغ إجمالى إنتاج البترول فى الكومنولث الروسى ٥١٥,٣ مليون طن ، أى حوالى ١٠,٤ مليون ب/ى ، وبنسبة انخفاض ٩,٥٪عن العام السابق له ليبلغ انخفاض إجمالى إنتاج البترول مداه عام ١٩٩٢ ليصل إلى ٤٤٦ مليون طن أى حوالى ٩ مليون ب/ى وبنسبة انخفاض ١١,٨٪ عن العام السابق[١٩] .

وبمقارنة إجمالى إنتاج البترول عام ١٩٩٢ لعام ١٩٨٨ نلاحظ انخفاض الإنتاج فى العام الأول بمقدار ١٧٧,٤ مليون طن ، وبنسبة

---

(١٨) ب/ى = برميل/يوميا .

(١٩)انظر : د . رجاء يوسف عز الدين ، «تأثير المتغيرات الدولية فى التسعينات على سياسة الطاقة فى آسيا الوسطى» مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، المجلد السابع ، ص ١٣٥ .

٢٨,٤٪ عن العام الأخير ، ومن المتوقع أن يظل إنتاج البترول فى الاتجاه التنازلى عامى ١٩٩٣ ، ١٩٩٤ فيصل الإنتاج إلى ٨,١ مليون ب/ى ، ٧,٥ مليون ب/ى على التوالى .

وتعتبر روسيا أكبر منتج للزيت الخام والمتكثفات بين جمهوريات الكومنولث ، فقد بلغ إنتاجها عام ١٩٨٨ - عام الذروة - نحو ٥٦٨,٨ مليون طن ، بنسبة ٩١٪ من إجمالى الجمهوريات المستقلة ، وبلغ إنتاجها عام ١٩٩٢ - عام أدنى إنتاج - نحو ٣٩٤ مليون طن ، وبنسبة ٨٨٪ من إجمالى إنتاج الجمهوريات كما بلغ إنتاج أوكرانيا من البترول نحو ٥,٤ مليون طن عام ١٩٨٨ ثم انخفض إلى ٤,٥ مليون طن عام ١٩٩٢ وبنسبة ٨٦,٪ ، ١٪ من إجمالى إنتاج الجمهوريات على التوالى[٢٠] .

التراجع فى الإنتاج يعود لبعض المشكلات وأهمها :

ا - تخلف الكومنولث الروسى فى مجال تكنولوجيا البحث والحفر والانتاج والتطوير والتنمية وتحسين الإنتاج .

ب - ارتفاع تكاليف الإنتاج وخاصة فى الحقول الصغيرة وانتفاء الجدوى الاقتصادية .

جـ - ضخامة الاستثمارات المطلوبة ، فضلا عن المخاطر التى تكتنف عمليات الاستثمار فى مجال البحث عن البترول .

---

(٢٠) انظر : د . رجاء يوسف عز الدين ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

أولا : إنتاج البترول فى الجمهوريات الإسلامية فى الكومنولث[٢١] :

تعتبر كازاخستان ثانى أكبر منتج للزيت الخام بين الجمهوريات ، وتحاول جاهدة أن تؤمن وضعها البترولى ، كما أنها واحدة من اثنين من الجمهوريات التى استطاعت زيادة إنتاجها بنحو ١,٥ مليون طن من الزيت الخام فى الفترة من ١٩٨٨ - ١٩٩٢ .

تليها أوزبكستان التى زاد إنتاجها بنحو ٤٠٠ ألف طن من الزيت الخام والمتكثفات خلال نفس الفترة . كما تمثل كازاخستان المركز الأول فى إنتاج الزيت والمتكثفات بين الجمهوريات الإسلامية ، حيث سجل إنتاجها نحو ٥١٪ من إجمالى إنتاج الجمهوريات عام ١٩٨٨ ، ثم تزايد إنتاجها إلى نحو ٥٦٪ من إجمالى إنتاج الجمهوريات عام ١٩٩٢[٢٢]

وتعتبر أذربيجان ثالث أكبر دولة منتجة للبترول على مستوى الكومنولث ، وثانى أكبر دولة منتجة على مستوى الجمهوريات الإسلامية ؛ فقد سجل إنتاجها ١٣,٧ مليون طن بنسبة ٢٧,٥ ٪ عام ١٩٨٨ وانخفض الانتاج إلى ١١,٤ مليون عام ١٩٩٢ بنسبة ١٧٪ .

وتأتى تركمانستان فى المركز الرابع للدول المنتجة للبترول فى الكومنولث ، وثالث دولة منتجة بين الدول الإسلامية ، فبلغ إنتاجها ٥ مليون طن عام ١٩٩٢ بانخفاض نسبته ٨,٣٪ عن انتاج عام ١٩٨٨

أما أوزبكستان فتأتى فى المركز السادس بين الدول المنتجة للبترول

---

(٢١) انظر : د . رجاء يوسف عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٢٢) حسبت أرقام الانتاج والوزن النسبى لكل دولة من بيانات .

Petrostrategies, Feb,1,1993

على مستوى الكومنولث ، ورابع دولة على مستوى الجمهوريات الإسلامية حيث بلغ إنتاجها ٢,٨ مليون طن عام ١٩٩٢ بزيادة قدرها ١٦,٧٪ عن عام ١٩٨٨ .

جدول رقم (٧) إنتاج الزيت الخام والمتكثفات فى جمهوريات آسيا والقوقاز .

العام	١٩٨٨		١٩٩٠		١٩٩١		١٩٩٢	
	الإنتاج	الوزن النسبى٪	الإنتاج	الوزن النسبى٪	الإنتاج	الوزن النسبى٪	الإنتاج	الوزن النسبى٪
كازاخستان	٢٥,٥	٥١,١	٢٥,٨	٥٢,٥	١٦,٦	٥٤,٥	٢٧	٥٥,٩
أذربيجان	١٣,٧	٢٧,٥	١٢,٥	٢٥,٥	١١,٦	٢٣,٨	١١,٤	٢٣,٦
تركمانستان	٥,٨	١١,٦	٥,٦	١١,٤	٥,٥	١١,٣	٥,٠	١٠,٤
أوزبكستان	٢,٤	٤,٨	٢,٨	٥,٧	٢,٨	٥,٧	٣,٨	٢,٨
آخرين	٢,٥	٥	٢,٤	٤,٩	٢,٣	٤,٧	٢,١	٤,٣
الإجمالى	٤٩,٩	١٠٠	٤٩,١	١٠٠	٤٨,٨	١٠٠	.٨,٣	١٠٠

ثانيا : إنتاج الغاز الطبيعي فى الجمهوريات الإسلامية[٢٣] :

تعتبر جمهورية تركمانستان ثانى أكبر منتج للغاز الطبيعى بين جمهوريات الكومنولث ، وأكبر منتج بين الجمهوريات الإسلامية ، فقد بلغ إنتاجها من الغاز الطبيعى عام ١٩٨٨ نحو ٨٨ بليون متراً مكعبا ، بنسبة ٦٠٪ من إنتاج الجمهوريات ، وأخذ إنتاجها يتراوح حول نفس

(٢٣)د. رجاء عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ ـ ١٤٨ .

النسبه تقريبا حتى عام ١٩٩١ ، وإن كان قد صاحب ذلك نقصا فى إنتاجها من الغاز خلال نفس الفترة ليصل إلى ٦٥ بليون متر مكعب ، أى بنقص قدره ٢٣,٣ بليون متر مكعب ، وبنسبة ٢٦,٤٪ عام ١٩٩٢ بالمقارنة بعام ١٩٨٨ .

وتحتل جمهورية أوزبكستان المرتبة الثانية فى إنتاج الغاز الطبيعى بين الجمهوريات الإسلامية إذ بلغ إنتاجها عام ١٩٨٨ نحو ٤٠ بليون متر مكعب ، وبنسبة ٢٧٪ لإجمالى إنتاج الجمهوريات ، كما حققت أوزبكستان (ثالث أكبر منتج للغاز الطبيعى بين دول الكومنولث) زيادة فى إنتاجها من الغاز خلال الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٢ ، وبلغت نسبتها ٣,٪ ، ٢,٨٪ ، ٢,٠٪ على التوالى وبذلك زاد الوزن النسبى لها من ٢٧٪ عام ١٩٨٨ ليصل إلى ٣٤٪ عام ١٩٩٢ .

وتحتل جمهورية أذربيجان المركز الثالث فى إنتاج الغاز الطبيعى بين الجمهوريات الإسلامية فقد سجل إنتاجها ١١,٨ بليون متر مكعب عام ١٩٨٨ وبنسبة ٨٪ من إجمالى إنتاج الجمهوريات من الغاز ، مع ملاحظة نقص إنتاجها فى العامين ١٩٩٠ ، ١٩٩١ بنسبة ١٦٪ ، ٢٧٪ على التوالى بالنسبة للعام الأول ، ثم ارتفع إنتاجها إلى ٩ بلايين متر مكعب عام ١٩٩٢ بالمقارنة بنحو ٨,٦ بليون متر مكعب عام ١٩٩١ ، وبنسبة زيادة ٤,٧٪ .

وفى المركز الأخير كازاخستان والتى بلغ إنتاجها ٨ بلايين متر مكعب من الغاز الطبيعى عام ١٩٩٢ ، وبنسبة زيادة ١٣٪ من إنتاجها عام ١٩٨٨ .

ويعزى الانخفاض الحاد فى كميات إنتاج الغاز الطبيعى لكل من تركانستان وأذربيجان إلى الصعوبات والمشاكل الاقتصادية التى تواجهها الجمهوريات بصفة عامة ، وإلى ندرة الاستثمارات الأجنبية والتكنولوجية المتقدمة لتنمية حقول الغاز والعمل على إصلاح خطوط الغاز .

جدول رقم (٨)

العام / الدولة	١٩٨٨		١٩٩٠		١٩٩١		١٩٩٢	
	الإنتاج	الوزن النسبى ٪	الإنتاج	الوزن النسبى ٪	الإنتاج	الوزن النسبى ٪	الإنتاج	الوزن النسبى ٪
تركانستان	٨٨,٣	٥٩,٨	٨٧,٨	٦٠,٠	٨٤,٤	٥٨,٩	٦٥,٠	٥٢,٣
أوزبكستان	٣٩,٩	٢٧,٠	٤٠,٨	٢٨,٠	٤١,٩	٢٩,٢	٤٢,٠	٣٣,٨
أدربيجان	١١,٨	٨,٠	٩,٩	٦,٨	٨,٦	٦,٠	٩,٠	٧,٢
كازاخستان	٧,١	٤,٨	٧,١	٤,٩	٧,٩	٥,٥	٨,٠	٦,٤
آخـــرين	,٦	,٤	,٥	,٣	,٥	,٣	,٤	,٣
الإجمـــالى	١٤٧,٧	١٠٠	١٤٦,١	١٠٠	١٤٣,٣	١٠٠	١٢٤,٤	١٠٠

ثالثا : صادرات الكومنولث الروسى من الزيت والغاز :

كان الاتحاد السوفيتى سابقا يخصص ٧٢ ٪ من إنتاجه البترولى للاستهلاك المحلى ، ثم أخذ استهلاك البترول يتراجع فى السنوات الأخيرة لإحلال الغاز محله ، والقيام بتصدير البترول لزيادة حصيلة العملات الأجنبية (٢٤).

---

(٢٤) د. رجاء عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

وحجم الصادرات لم يتجاوز ٢,٨ مليون ب/ى فى عام ١٩٨٨ ، وهو العام الذى حققت فيه أعلى معدلات للإنتاج ، وبتناقص الإنتاج انخفضت الصادرات إلى ١,٥ مليون ب/ى عام ١٩٨٩ وإلى ٢,١ مليون ب / ى عام ١٩٩٠[٢٥] .

١ ــ تغير إتجاه صادرات دول الكومنولث الروسى[٢٦] :

كان لصادرات البترول السوفيتى فى الماضى هدفان رئيسيان بالرغم من قلة الاحتياطى وزيادة الاستلاك المحلى :

الأول : هدف سياسى يكمن وراء تصدير البترول لدول أوربا الشرقية سعيا وراء تدعيم التحالف والروابط معها .

الثانى : اقتصادى تجارى ، وهو تصدير البترول للغرب لزيادة حصيلة العملات الحرة اللازمة لتمويل إحتياجات السلع الغذائية والرأسمالية .

فى الوقت الحاضر انخفضت حصة صادرات البترول من دول الكومنولث الروسى إلى دول أوربا الشرقية حيث تناقصت واردت الأخيرة من الزيت الخام من نحو ٦٣٪ عام ١٩٨٩ إلى ٤٨٪ عام ١٩٩٠ . وفى نفس الوقت تغير مسار صادرات دول الكومنولث الروسى من البترول ، فقد بلغ إجمالى صادراتها ٢,٣ مليون ب/ى عام

---

(٢٥) د. رجاء يوسف عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢٦) انظر : د. محمد شوكت : « سياسات الطاقة فى الدول الاشتراكية ، على ضوء المتغيرات السياسية الأخيرة ، البترول ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الأول ، ١٩٩١ ، ص ٤ ــ ٨ .

وانظر أيضاً : Petraleum Ecomomist, 1991

Petrastrte gies, April, 15, 1991

١٩٩١ ، كان نصيب دول OECD الأوربية منها ١,٥ مليون برميل يوميا ، ١٢٧ الف ب/ى لدول آسيا ، ٣٩ ألف ب/ى للولايات المتحدة الأمريكية ، ١٢ ألف ب/ى لليابان ، ١١ ألف ب/ى لكندا ، ٤ آلاف ب/ى لدول أمريكا اللاتينية ، ثم ٦٢٣ ألف ب/ى لباقى دول العالم .

أى أن أهمية الهدف الثانى أخذت تتزايد منذ أواخر الثمانينات ، وخاصة بعد المتغيرات السياسية والاقتصادية الكبيرة فى أوربا الشرقية .

ولا شك أن هذه التطورات فى العلاقات بين الكومنولث الروسى ودول أوربا الشرقية تفتح آفاقا جديدة أمام دول الشرق الأوسط المصدرة للبترول ، لزيادة صادراتها واستثماراتها البترولية فى سوق أوربا الشرقية ، وتبرز أهمية ذلك إذا وضعنا فى الاعتبار توقع تزايد معدلات استهلاك هذه الدول نتيجة للزيادة المتوقعة فى معدلات النمو الاقتصادى فيها بعد المتغيرات الاقتصادية والسياسية الأخيرة(٢٧) .

رابعا : مستقبل الصادرات البترولية لدول الكومنولث :

من المتوقع توقف صادرات البترول لدول الكومنولث الروسى كلية فى نهاية عام ١٩٩٣(٢٨) واتجاهها لاستيراد جزء من احتياجاتها ، ما لم تتخذ اجراءات إصلاحية فورية وجوهرية فى الإدارة والإنتاج ، مع

(٢٧) د. رجاء يوسف عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٢٨) طبقاً لدراسة اقتصادية نشرت بالمجلة الروسية (Thomemik Ijhjm) عن أوضاع إنتاج مصادر الطاقة المختلفة ، وانظر : مجلة البترول العدد التاسع ، ١٩٩٢ ، وانظر أيضاً : د. رجاء عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

ملاحظة تقلص صادرات البترول الخام بمقدار مليون ب/ى عام ١٩٩٠ وبنسبة ٥٠٪ عن عام ١٩٨٩ ، ونقص صادرات المنتجات البترولية من مليون ب/ى إلى ٨٢٠ الف ب/ى ، وبنسبة ١٨٪ . كما نقصت صادرات الغاز من ٣,٨٥ إلى ٣,٦٨ تريليون قدم مكعب ، وبنسبة ٤٪ عام ١٩٩٠ عن العام السابق .

وسبب ذلك التحول استخدام هذه المنتجات فى توليد الكهرباء ، نظراً لانخفاض إنتاج الفحم بنسبة ١٠٪ بالإضافة إلى إغلاق عدد من محطات الكهرباء النووية بعد حادث تشرنوبل .

وتشكل صادرات دول الكومنولث لمصادر الطاقة (زيت خام ، منتجات بترولية ، فحم ، غاز) حوالى ٤٠٪ من إجمالى سلة صادراتها لعام ١٩٩٠ ، بمعنى أن توقف صادراتها من البترول سيكون له آثار سيئة على اقتصاديات تلك الدول ، ويعزى ذلك لنقص حصيلتها من العملات الأجنبية .

وترى الدكتورة رجاء عز الدين الخبيرة فى اقتصاديات البترول ، أنه بالرغم من التضارب فى البيانات الخاصة بانتاج وتصدير البترول فى الكومنولث الروسى ، إلا أن الاحتمال بزيادة إنتاج البترول وبالتالى الصادرات احتمال قائم ، وترجع ذلك إلى زيادة اتفاقيات البحث والاستكشافات والتنمية بين الجمهوريات المستقلة وشركات البترول العالمية والتى قد تؤدى إلى اكتشافات بترولية ضخمة ـ خاصة ـ فى الجمهوريات الإسلامية والتى لم تكن تحظى بالاهتمام فى الاستثمارات البترولية فى الاتحاد السوفيتى السابق .

إن انضمام بعض جمهوريات الكومنولث الروسى للسوق العالمى للبترول كمصدرين ، لن يكون له أثر محسوس على زيادة العرض العالمى للبترول ؛ لأنه إعادة لتوزيع اتجاه صادرات تلك الدول ، علما بأن صادرات تلك الدول سوف تتناقص فى حين يتزايد الطلب العالمى على البترول حتى عام ٢٠٠٠ . ويتوقع خبراء البترول أن تتحول دول الكومنولث الى مستورد صاف للبترول بحلول عام ٢٠٠٠ ؛ نظرا لان تراجع معدلات إنتاجه تتزايد مع ارتفاع معدلات استهلاكه .

خامساً : أثر دخول الكومنولث الروسى للسوق العالمى للبترول :

أ ـ على العرض العالمى للبترول :

بدراسة جانب العرض وجانب الطلب حتى عام ٢٠١٠ ، يتضح لنا أن دول أوبك ستظل هى القادرة على إمداد السوق العالمى للبترول باحتياجاته بالرغم من دخول روسيا كمصدرة للبترول لدول OECD لزيادة حصيلتها من العملات الأجنبية لتمويل احتياجاتها من السلع الغذائية والرأسمالية إلا أن ذلك كان على حساب نقص صادراتها لجمهوريات الكومنولث وأوربا الشرقية ، أى أن صادرات روسيا لم تحقق أى زيادة فى اجمالى العرض العالمى للبترول[٢٩] .

ب – على الأسعار العالمية للبترول :

---

(٢٩) د. رجاء يوسف عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

فى السوق العالمى للبترول تتم المواجهة بين ثلاثة أطراف ، وهى الدول المصدرة للبترول ، والدول المستوردة له ، ثم الشركات العالمية للبترول ، وإذا اتفقت مصالح الدول المستوردة للبترول مع مصالح شركاتها البترولية فيمكن اعتبارهما طرف واحد(٣٠) .

يتسم السوق العالمى للبترول حاليا بأنه سوق مشترين ، فهناك عدد محدود من الدول الصناعية الكبرى تستورد نحو ٧٥٪ من إجمالى الواردات البترولية العالمية وتضمها وكالة الطاقة الدولية ، وتدعمها الشركات متعددة الجنسيات بمالها من خبرة كبيرة فى جميع المجالات ، وتعمل هذه المجموعة لتنفيذ سياستها السعرية مستندة إلى قوتها التفاوضية فى مواجهة الدول المصدرة للبترول ، وعلى الجانب الآخر لم تستطع الدول المصدرة مواجهة التحولات الخطيرة فى السوق العالمى للبترول . وفى السنوات الأخيرة أدى وجود فائض فى العرض تراوح بين ٤ ــ ٥ مليون ب/ى عام ١٩٩٠ .. إلى أن تكون الأسعار الفورية هى أساس التعامل فى السوق العالمى للبترول ، وأصبحت هذه السوق عرضه لتذبذب الأسعار وفقا للعوامل النفسية والتوقعات أو تصريح من مصدر بترولى أو سياسى مسئول .

---

(٣٠) د. رجاء يوسف عز الدين ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

المبحث الخامس

النظم النقدية حالياً وتوقعات المستقبل

مقـــدمة :

كان الروبل هو العملة الوحيدة لهذه الشعوب ، ويتولى البنك المركزى الروسى « الجوسبانك » مهمة الاصدار ، ويتم توزيع الروبل على الجمهوريات ، كل حسب إنتاجها وميزان مدفوعاتها مع غيرها من جمهوريات الاتحاد السوفييتى التى تختلف فى مستوياتها الإنتاجية وعدد سكانها وأنصبة الأفراد من الناتج المحلى الإجمالى فى كل منها كما يتبين من الجدول التالى[٣١] .

---

(٣١) انظر : سيد عيسى ، « النظم النقدية الحالية فى دول الاتحاد السوفيتى السابق وتوقعات المستقبل » مؤتمر : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز » جامعة الأزهر ، ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٠ ، المجلد الثامن ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

جدول رقم (٩)

الجمهوريات	عدد السكان بالملايين (١٩٩٠)	نصيب الفرد من الناتج المحلي بالدولار (١٩٩١)
روسيا	١٨٣,٣	٣٢٠٠
أوكرانيا	٥١,٩	٢١٠٠
أوزبكستان	٢٠,٥	١٤٠٠
كازاخستان	١٦,٧	٢٥٠٠
بيلاروس	١٠,٣	٢٣٠٠
أذربيجان	٧,١	١٧٠٠
جورجيا	٥,٥	١٦٠٠
طاجيكستان	٥,٣	١١٠٠
قيرغيزستان	٤,٤	١٥٠٠
مولدوفيا	٤,٤	٢٢٠٠
تركمانستان	٣,٧	١٧٠٠
لتيوانيا	٣,٧	٢٧٠٠
لاتفيا	٢,٧	٣٤٠٠
استوانيا	١,٦	٣٨٠٠

ويتضح من الجدول أن أعلى متوسط لنصيب الفرد من الناتج المحلى فى استوانيا يبلغ ٣٨٠٠ دولار ، أما فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز فنجد أعلى متوسط فى كازاخستان وقدره ٢٥٠٠ دولار ، وأقل متوسط فى طاجيكستان وقدره ١١٠٠ دولار ، وهو يقرب من ضعف متوسط نصيب الفرد فى مصر ــ ٦٣٠ دولار ــ فى نفس التاريخ .

أولا : التطورات النقدية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي :

انتهت كتلة الروبل من الناحية الواقعية حيث لا توجد سلطة نقدية واحدة ترسم سياسة نقدية مشتركة ، بل أصبحت الجمهوريات الحديثة الاستقلال تواجه اضطرابات نقدية عنيفة بالرغم من أن الاتحاد السوفييتى فى أيامه الأخيرة كان قد حول النظام المصرف إلى نظام أقل مركزية ، وجعل من الفروع الرئيسية للجوسبانك فى الجمهوريات بمثابة مصارف مركزية وطنية .

ويمكن رصد أهم الظواهر الاقتصادية والنقدية بعد التفكك : •

١ ــ ظهر التباين بين الجمهوريات وخاصة فى مقدرتها الإنتاجية وخاصة بالنسبة لجمهورية روسيا الغنية بمواردها من مصادر الطاقة وغيرها وبقية الجمهوريات التى تعتبر مستوردة صافية للطاقة والتى بدأت جمهورية روسيا تبيعها لهم بالأسعار العالمية .

٢ ــ مازال الروبل متداولاً بين أيدى الجماهير بالرغم مما ظهر من نقص شديد فى عرضه فى السوق بسبب عجز إمكانيات مطابع العملة عن ملاحقة الطلب عليه .

٣ ـ اعتماد الجمهوريات لعقود عديدة على السلطات النقدية فى موسكو مما جعلها خلال فترة مابعد الاستقلال عاجزة عن التصرف السريع .

وللأسباب السابقة عمدت بعض الجمهوريات إلى ابتداع عملات وطنية موازية أو كوبونات غير نقدية لتسهيل التعامل ، وهى لاتخضع لقواعد الاصدار المعروفة من وجوب توافر أنواع جيدة من غطاءات الإصدار ، ولكن سرعان ما ظهرت أسعار صرف تزيد عن أسعار التعادل بين هذه الكوبونات والروبل وهى فى الأساس تعادله فى القيمة[٣٢] .

ويمكن تصنيف الدول على النحو التالى :

١ ـ عمدت أوكرانيا ـ وتبعها فى ذلك بعض الجمهوريات الأخرى (أذربيجان ، بيلاروس ، لاتفيا ، لتوانيا ، ومولدوفيا) ـ إلى إصدار كوبونات للتخفيف من مشكلة نقص الروبل وسمح بتداولها بالتوازى مع الروبل . وفى بعض الحالات باتت الكوبونات هى وسيلة التعامل الوحيدة لبعض الصفقات كالشراء من المحلات الحكومية أو تجارة الحدود ، وذلك لتقييد عمليات تصدير السلع إلى الدول المجاورة التى قامت بتحرير أسعارها بسرعة نسبية أكثر ؛ مما أدى إلى رفع أسعارها بمعدل أكبر من جيرانها ، واستمر استخدام الكوبونات حتى بعد أن زاد حجم المعروض من الروبل فى آواخر عام ١٩٩٢[٣٣] .

---

(٣٢) سيد عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٣٣) سيد عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

٢ ـ استمرت بعض الجمهوريات فى التعامل بالروبل ولم تستخدم كوبونات موازية وهى أرمينيا ، تركمانستان ، طاجيكستان ، كازاخستان .

٣ ـ ولكن أذربيجان أصدرت بجانب الروبل عملة جديدة تسمى «المنات» وهى تعادل عشرة روبلات روسية وهى فى سبيلها إلى جعلها العملة الرسمية الوحيدة .

٤ ـ اصدرت استوانيا عملة أطلقت عليها تسمية (الكرون) وهى تعادل المارك الألمانى وتم تثبيت قيمة هذا الكرون فى عام ١٩٢٢ ، وأصدرت أوكرانيا عملة صغيرة الفئة (الكربوفانتس) وهى معومة منذ نوفمبر ١٩٩٢ ، وكان سعر صرفها فى إبريل ١٩٩٣ يعادل ٠,٣ من الروبل ، وتعتزم بيلاروس إصدار روبل وطنى يعادل عشرة روبلات روسية وقيرغيزستان أيضاً تعتزم إصدار عملة خاصة ، حتى الدول التى مازالت تستخدم الكوبونات مثل : (جورجيا ، مولدافيا) جنبا إلى جنب مع الروبل ستصدر قريبا عملات خاصة ، أما لاتفيا فقد أصبح لديها روبلها الخاص بها ، وكان سعر تعادله مع الدولار فى أبريل ١٩٩٣ نحو ١٣٠ روبل للدولار . بينما بلغ سعر (التالوناس) وهو العملة الجديدة للتوانيا فى إبريل عام ١٩٩٣ نحو ٥٠٥ تالوناس لكل دولار[٣٤] .

---

(٣٤) سيد عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

ثانيا : توقعات المستقبل :

من المشكوك فيه إلى حد كبير أن يستمر الوضع الحالى ، فالتفكك التلقائى لمنطقة الروبل وانقسامها إلى مجموعات غير ملائمة من العملات شبه المستقلة يوحى بأن منطقة العملة المشتركة لايمكن ان تستمر فى بيئة سياسية غير خاضعة للتنسيق ، وإذا ما أريد تجنب حدوث تضخم جامح أو اللجوء إلى الحروب التجارية يتحتم على كل جمهورية من هذه الجمهوريات أن تقرر اختيار أحد بديلين :

١ ـ أن تظل فى منطقة الروبل وتنتهج سياسة نقدية مشتركة .

٢ ـ أن تتخذ عملة منفصلة وتسمح بإجراء تصحيحات فى سعر الصرف بعزله عن التضخم لدى جيرانها ، ويبدو أنه لاتوجد خيارات أخرى قابلة للبقاء[٣٥] .

الخيــار الأول :

لكى يحقق هذا الخيار الغرض منه ينبغى على الدول أن تتفق على آليات معقولة لتنفيذ سياسة نقدية مشتركة . ويتعين وجود سلطة نقدية وحيدة تضع السياسة الائتمانية والنقدية ، وأن يتم تداول عملة واحدة فى جميع الجمهوريات ، وإذا كانت هناك عملات وطنية مستقلة يجب أن تحدد لها أسعار صرف ثابتة تجاه العملة المشتركة .

---

(35) G. Sprncer, A. Cheasty, Rouble Area-Finaco, Development I.M.F Jun. 1993.

وقد وضعت خطط لإعادة تأسيس المصارف المركزية المنفصلة وتحويلها إلى إتحاد مصرفى على غرار النظام الفيدرالى فى الولايات المتحدة ولكن المحاولة فشلت فى النهاية وتمخضت عن نزاع حول عدد الأصوات التى ينبغى أن تكون لكل دولة عند وضع السياسات النقدية .

وفى يناير ١٩٩٣ عقد مؤتمر قمة لرؤساء الجمهوريات فى مدينة مينسك ، وأتفق على إقامة مصرف مشترك فيما بين الجمهوريات ، وانضم إلى عضويته معظم دول منطقة الروبل بالإضافة إلى أوكرانيا ، ولكن صعوبات الاتفاق على سياسة نقدية حالت دون تحقيق غرضه الأساسى واقتصر على نظام متعدد الأطراف للمقاصة وتسوية المدفوعات بين المصارف المركزية الأعضاء .

وبعد أن تبين استحالة تحقيق تعاون فعال متعدد الأطراف بدأت الدول الصغيرة ترى أن خيار البقاء فى منطقة الروبل يعتبر ترتيبا ثنائيا يهدف إلى ربط سياستها النقدية بالسياسة النقدية لروسيا وهذه الدول ترى أن هذا الخيار قد يوفر فرصاً لتحسين شروط عقود شراء الطاقة والحصول على التسهيلات الائتمانية . ولكن هذا الخيار لايبدو جذابا للعديد من الجمهوريات إذ ترى أنه من الصعب عليها سياسيا تسليم سلطة سياستها النقدية لروسيا .

وقد دلت التجربة مؤخراً فى استوانيا ولاتفيا على أن سياسة النقد لاتوفر بالضرورة دعامة أفضل مما توفرها عملاتها الخاصة[٣٦] .

---

(٣٦) سيد عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ ــ ١٨٥ .

الخيار الثانى :

فى ظل البيئة الحالية ترى معظم الجمهوريات أن الخيار الثانى هو الطريق الوحيد المؤكد لتحقيق الاستقرار النقدى وأن اتخاذ عملة مستقلة رسميا سيؤدى إلى فصل المصرف المركزى المصدر للعملة عن مصرف روسيا المركزى ، ويتيح له السيطرة على أدائه الخاص فى مجال كبح جماح التضخم وهو ما يتطلب سياسة ائتمانية ومالية صارمة وعدم التهاون فى مواجهة العجز فى ميزانياتها[٣٧] .

وقد اختارت دول البلطيق الثلاث وقيرغيزستان وأوكرانيا إصدار عملات منفصلة وحاولت الدول التى اتبعت سياسات مستقلة تخفيض معدلات التضخم ، ونتيجة لذلك ارتفعت قيمة عملات دول البلطيق بالنسبة للروبل ، بينما لم تنجح أوكرانيا فى مواجهة التضخم فانخفضت عملتها (الكاربوفانتس) تجاه الروبل بمعدل الثلث حتى شهر إبريل عام ١٩٩٣ ، وهناك دافع لاختيار العملة الخاصة يتمثل فى رغبة الدول فى ايجاد رموز وطنية لها كالأعلام .

أى الخيارين أرجح ؟

يرى الخبير الاقتصادى الأستاذ سيد عيسى أن الخيار الثانى أكثر ترجيحاً . ذلك لأن الاقتصاد الروسى بالرغم من أن وزنه النسبى يشكل أكثر من النصف فى الاتحاد السوفييتى السابق بكامله ، إلا أنه يواجه من المشكلات ما قد يزيد على هذا الوزن النسبى . ولذلك فإنه

---

(٣٧) سيد عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

ليس من المتوقع على المدى القصير والمتوسط أن يصل الروبل إلى حالة استقرار بسبب النفقات الكبيرة التى يتطلبها الإصلاح الاقتصادى ولن يكون من السهل على السلطات الروسية احتواء التضخم الجامح وعلاج نقص المعروض من السلع فى الأسواق . بينما سيكون من الأيسر نسبيا على الدول المتوسطة والصغيرة علاج مشاكلها الاقتصادية فى وقت أسرع ومن ثم فإن عملاتها المنفصلة قد تكون هى الاختيار الأرجح إذا ما صاحب هذا الاختيار السياسات المكملة المناسبة التى لابد من اتخاذها .

ثالثا : تأثير التطورات النقدية على المعاملات الدولية :

لاشك أن للسياسات النقدية آثارها المباشرة وغير المباشرة على المعاملات الدولية ، وبصفة خاصة ما يتصل باستقرار أسعار الصرف ، ومعدلات التضخم والتوازنات الخارجية وغير ذلك من المعاملات الدولية سواء بالنسبة للتعامل التجارى أو انتقال رءوس الأموال من أجل الاستثمار العينى أو المال ويمكن القول بأن تأثيرات الخيارات النقدية للجمهوريات إذا كانت سلبية فإن تلك الآثار ستكون أشد وطأة على معاملاتها البيئية وفى علاقاتها مع روسيا الاتحادية . اما فيما يتعلق بمعاملاتها التجارية مع دول العالم الأخرى بصفة عامة ودول العالم الإسلامي بصفة خاصة ، فمن المعتقد أنها ستكون قابلة للزيادة والنمو بشكل أفضل مما كان عليه فى السابق حيث لن تشكل العملات المحلية قيوداً هامة على التعامل الخارجى ؛ لأن الروبل لم يكن فى يوم من الأيام

قابلاً للتحويل بحرية كالدولار وغيره من عملات الدول الكبرى المعروفة ، ومنذ الخمسينات تتعامل مصر مع الاتحاد السوفييتى من خلال اتفاقات دفع لايتم فيها توسيط الروبل[٣٨] .

بل كانت هذه الاتفاقيات تتم باختيار عملة حسابية هى الجنيه الاسترلينى الحسابى، أو غيره من نظم أخرى ، كالتعامل من خلال الصفقات المتكافئة واختيار إحدى العملات القابلة للتحويل كوسيط للحساب ، وتتم معظم المعاملات الدولية فى أيامنا هذه بتوسيط الدولار بصفة خاصة أو العملات الحرة الأخرى بصفة عامة . وتقوم التجارة الدولية على أساس المقارنة بين مستويات الأسعار بالعملات الحرة مع الأخذ فى الاعتبار فروق الجودة . وبذلك لن تلعب العملات الوطنية لهذه الجمهوريات أدواراً هامة فى المدفوعات لهذه الدول[٣٩] .

ودول العالم الإسلامى سواء على مستوى الحكومات أم المشروعات الاقتصادية ـ العامة والخاصة ـ مطالبة بارتياد أسواق الجمهوريات الإسلامية وربطها بأسواق العالم الإسلامى فى أقصر وقت ممكن .

---

(٣٨) سيد عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣٩) سيد عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

المبحث السادس
الموارد البشرية

ينظر إلى الموارد البشرية اقتصاديا من زاويتين :

١ ـ زاوية الاستهلاك

٢ ـ زاوية الإنتاج

فكل أفراد المجتمع يدخلون فى فئة المستهلكين من الأطفال الرضع إلى الشيوخ ، وهم يشكلون حجم الطلب الكلى من السلع والخدمات فى أى مجتمع ، وكذلك يشكلون هيكل الطلب على السلع والخدمات فالأطفال الرضع يحتاجون إلى الملابس والرضاعة والرعاية الصحية ، بينما من هم فى سن الشباب يحتاجون إلى التعليم ، والرياضة وغيرها .. بالاضافة إلى الطعام والرعاية الصحية ، أما الشيوخ فاحتياجاتهم الصحية تتزايد وكذلك الرعاية الاجتماعية .

أما الفئة المنتجة فى المجتمع فهى فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ سنة و٦٥ سنة ، وهم يشكلون قوة العمل فى أى مجتمع ، وهذا ما تأخذ به منظمة العمل الدولية .

وللتعرف على حجم الموارد البشرية ، ومعدل نموها ، وهيكل

التركيب السكانى ، وكذلك مستوى الخدمات الصحية والتعليمية المقدمة فى الجمهوريات الإسلامية سنقسم هذا المبحث إلى مايلى :

أولاً : أعداد السكان فيما بين عامى (١٩٨٣ - ١٩٩١)

ثانياً : معدل النمو السنوى للسكان .

ثالثاً : هيكل التركيب العمرى للسكان .

رابعاً : مستوى الخدمات التعليمية والصحية وأهم مؤشراتها .

أولاً : حجم السكان (عدد السكان) فيما بين عامى ١٩٨٣ - ١٩٩١ م

لا يقتصر وجود المسلمين على البلدان الستة محل الدراسة ، ولكن منهم أعدادا كبيرة تعيش فى مناطق أخرى داخل أقاليم متعددة سواء فى روسيا أو فى الجمهوريات الأخرى ، غير أنها لا تشكل أغلبية كبيرة فى هذه المناطق ، ومع ذلك فالأمر يستدعى أن يوجه الاهتمام إلى المسلمين فى مختلف مناطق العالم سواء أكانوا أغلبية فى بلادهم أم أكثرية .

ويشير الجدول رقم (١٠) إلى أعداد السكان للبلدان الستة على النحو التالى :

جدول رقم (١٠)

أعداد السكان فيما بين عامى (١٩٨٣ ـ ١٩٩١)

بالمليون نسمة

السنة	أذربيجان	أوزبكستان	تركمانستان	طاجيكستان	كازخستان	قرغيزستان	المجموع
١٩٨٣	٦,٤٥	١٧,٢٧	٣,٠٨	٤,٣٠	١٥,٥٥	٣,٨٦	٥٠,٥١
١٩٨٤	٦,٥٦	١٧,٧٤	٣,١٥	٤,٤٣	١٥,٧٤	٣,٩٤	٥١,٥٦
١٩٨٥	٦,٦٦	١٨,٢٣	٣,٢٣	٤,٥٧	١٥,٩٣	٤,٠١	٥٢,٦٣
١٩٨٦	٦,٧٦	١٨,٧٦	٣,٣٢	٤,٧٢	١٦,١٤	٤,٠٩	٥٣,٧٣
١٩٨٧	٦,٨٧	١٩,٣٠	٣,٤١	٤,٨٧	١٦,٣٦	٤,١٧	٥٤,٩٨
١٩٨٨	٦,٩٨	٩,٧٤	٣,٤٩	٥,٠٣	١٦,٥٠	٤,٢٥	٥٥,٩٩
١٩٨٩	٧,٠٧	٢٠,١١	٣,٥٨	٥,١٨	١٦,٦١	٤,٣٣	٥٦,٨٩
١٩٩٠	٧,١٥	٢٠,٥٣	٣,٦٧	٥,٣٠	١٦,٧٤	٤,٣٩	٥٧,٧٨
١٩٩١	٧,٢٢	٢٠,٨٦	٣,٧٥	٥,٤٢	١٦,٩٠	٤,٤٩	٥٨,٧٤
النسبة المئوية	٪١٢,٣	٪٣٥,٦	٪٦,٤	٪٩,٢	٪٢٨,٨	٪٧,٧	١٠٠

المصدر:

UN : Monthly Bulletin of Statistics Vol XLVII No. 4, New York, April 1993; PP. 1—6.

The World Bank : The World Bank Atlas, 52th Anniversary Edition, Washington DC first Printing, Dec. 1992, PP. 8-9.

ويستدل من الجدول السابق على ما يأتى[٤٠] :

١ - بلغ مجموع السكان للدول الستة من المسلمين وغير المسلمين نحو ٥٠,٥١ مليون نسمة وذلك فى عام ١٩٨٣ وقد شكل هذا العدد نحو خمس سكان الاتحاد السوفيتى السابق ثم أخذت هذه الأعداد فى الزيادة عاماً بعد آخر حيث بلغ المجموع الكلى ٥٨,٧٤ مليون نسمة فى عام ١٩٩١ أى بزيادة قدرها ٨,٢٣ مليون نسمة وبمتوسط سنوى قدره ١,٠٣ مليون نسمة .

٢ - تعتبر أوزبكستان من أكبر الدول الإسلامية من حيث مجموع السكان ، إذ بلغ عدد سكانها نحو ٢١ مليون نسمة فى عام ١٩٩١ وبنسبة ٣٥,٧٪ ، تليها فى الأهمية كازخستان وبلغ عدد سكانها فى العام نفسه ١٦,٧٤ مليون نسمة ، وبنسبة ٢٨,٨٪ ، بمعنى أن الدولتين شكلتا معاً ٦٤,٥٪ ، أى نحو ثلثى مجموع السكان . تليهما فى الترتيب أذربيجان إذ بلغ عدد سكانها ٧,٢٢ مليون نسمة بنسبة ١٢,٣٪ ، وتعتبر كل من طاجيكستان وقرغيزستان وتركمانستان أصغرها من حيث العدد ، وبلغت نسبتها إلى المجموع الكلى لسكان ٩,٢٪ ، ٦,٤٪ على التوالى .

٣ - تفاوت معدل النمو السكانى لهذه الدول بشكل كبير وذلك خلال الفترة (١٩٨٠ - ١٩٩١) إذ تراوح معدل النمو السنوى بين (١,٢٪ ، ٢,٩٪) لكل من : كازخستان ، وطاجيكستان على التوالى أى أن الفارق بين أدنى معدل وأعلى معدل يعتبر كبيراً ؛ لأن النمو فى طاجكستان يفوق ما هو سائد فى كازخستان بأكثر من الضعيفين .

أما فى الدول الأخرى فإن معدل النمو السنوى عن نفس الفترة ، فقد بلغ ١,٥٪ فى أوزبكستان ، ١,٩٪ فى قرغيزستان ، ٢,٥٪ فى تركمانستان ، ٢,٦٪ فى أوزبكستان .

(٤٠) انظر : د. معين أحمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

الكثافة السكانية :

تقاس الكثافة السكانية بخارج قسمة عدد السكان إلى المساحة الكلية للدولة ، ويعكس هذا المؤشر درجة الازدحام السكانى أو الخفة السكانية وعادة ما تتخذ هذه النسبة اتجاها متزايداً فى غالبية دول العالم نظراً للنمو السكانى السنوى الموجب لهذا الدول . وهذا المؤشر لا يعتبر دقيقاً فى أحيان كثيرة بل يعتبر فى بعض الأحيان مؤشراً مضللاً ؛ لأن هناك دولاً ذات كثافة سكانية منخفضة غير أن سكانها يتركزون فى مساحات ضيقة ، وبقية أراضيها غير مأهولة كما هو الحال فى مصر .

جدول رقم (١١)

الدولة	المساحة		عدد السكان	الكثافة
	الف كيلو م٢	٪	عام ١٩٩١	نسمة/كم٢
آذربيجان	٨٦,٦٠٠	٢,١	٧,٢٢	٨٣,٤
أوزبكستان	٤٠٨,٩٨٠	١٠,١	٢٠,٩٦	٥١,٣
تركمانستان	٤٨٨,١٠٠	١٢,١	٣,٧٥	٧,٧
طاجيكستان	١٤٣,١٠٠	٣,٥	٥,٤٢	٣٧,٩
كازاخستان	٢٧١٧,٣٠٠	٦٧,٣	١٦,٩	٦,٢
قرغيزستان	١٩٦,٨٤٠	٤,٩	٤,٤٩	٢٢,٨
المجموع	٤٠٤٠,٩٢٠	١٠٠	٥٨,٧٤٠	١٤,٥

المصدر:

The World Bank : World Development Report 1993, Investing Health Oxford University Preszs First Printing New York, şun 1993, PP. 238-239.

يستدل من الجدول السابق على مايلي[41] :

١ ـ بلغت الكثافة فى المتوسط (مجموع البلدان الستة) ١٤,٥ نسمة / كم٢ أى أن الكثافة السكانية تعتبر منخفضة إذا ما قورنت بغيرها من مناطق العالم المختلفة فعلى مستوى العالم ككل تبلغ الكثافة السكانية ٣٧ نسبة / كم٢ . كما تبلغ الكثافة ٨٣ نسمة / كم٢ على مستوى ٤٠ بلداً من البلدان ذات الدخل المنخفض ، ٢٦ نسمة / كم٢ على مستوى ٢٢ بلداً من بلدان العالم ذات الدخل المرتفع .

٢ ـ أن الكثافة السكانية تتباين بشكل كبير من بلد لآخر وتتراوح بين ٦,٢ نسمة / كم٢ فى كازاخستان ، ٨٣,٤ / كم٢ فى أذربيجان ويرجع ذلك إلى اتساع المساحة فى الدولة الأولى اتساعاً كبيراً ، وضيق المساحة فى الأخرى .

٣ ـ يلاحظ وجود علاقة عكسية بين الكثافة السكانية ومساحة الدولة من جهة أخرى ، إذ جاءت الكثافة السكانية مرتفعة فى البلاد ذات المساحة الصغيرة والعكس صحيح .

ثالثاً : معدل النمو السنوى :

يعبر معدل النمو السنوى للسكان عن نسبة الزيادة السنوية فى بلدنا كمحصلة لكل من معدلات المواليد ومعدلات الوفيات وصافى الهجرة الخارجية .

ويبين الجدول التالى رقم (١٢) تطورات معدل النمو السكانى

---

(٤١) د. معين أحمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

للبلدان الإسلامية الستة محل الدراسة فيما بين عامى (١٩٨٥ - ٢٠٠٠) كالآتى :

جدول رقم (١٢)

تطور معدلات النمو السنوى السكانى فيما بين عامى (١٩٨٥ - ٢٠٠٠)

(المعدل بالمائة)

الدولة	الفترة للأولى (١٩٨٥-١٩٩٠)	الفترة الثانية (١٩٩٠-١٩٩٥)	الفترة الثالثة (١٩٩٥-٢٠٠٠)
أذربيجان	١,٣٩	١,٠٧	١,١٥
أوزبكستان	٢,٥٣	٢,٠٦	٢,٠٥
تركمانستان	٢,٤٦	٢,٣٦	١,٩٣
طاجكستان	٢,٩٣	٢,٦٣	٢,٥٧
قازقستان	١,١٠	٠,٨٥	٠,٩٦
قرغيزستان	١,٩١	١,٥٨	١,٧٤
المتوسط العالمى	١,٧٥	١,٦٥	١,٥١
الاقتصاديات عالية النمو فى الدخل	٠,٦٤	٠,٦٤	٠,٥١
الاقتصاديات منخفضة النمو فى الدخل	٢,٠٥	١,١٩٠	١,٧١

المصدر:

The World Bank : World Population Projections, Ibid, PP. 130 - 492. The World Bank : World Development Report, Ibid, PP. 288-289.

ويمكن الاستدلال من الجدول السابق على مايأتى[٤٢] :

١ ـ يتراوح معدل النمو السنوى بين ١,١٠٪ ، ٢,٩٣٪ كحدين أدنى وأعلى لكل من كازاخستان وطاجيكستان على التوالى مما يستدل منه على أن معدل النمو السكانى فى طاجيكستان عال جداً ، ويبلغ نحو ثلاثة أضعاف نظيره فى كازاخستان .

٢ ـ تشير معدلات النمو السكانى السائدة فى الفترة الأولى إلى انقسام هذه الدول إلى مستويين من حيث معدل النمو كالآتى :

المستوى الأول : وهو يقل عن ٢٪ وتقع فى إطاره كل من : كازاخستان ، وأذربيجان وقرغيزستان بنسبة ١,١٠٪ ، ١,٣٩٪ ، ١,٩١٪ على التوالى .

المستوى الثانى : وهو يزيد عن ٢٪ وتمثله كل من : تركمانستان وأوزبكستان ، وطاجيكستان بالنسب التالية ٢,٤٦٪ ، ٢,٥٣٪ ، ٢,٩٣٪ للبلدان الثلاثة السابق ذكرها على التوالى .

وعلى ضوء التصنيف المذكور يتضح وجود فروق ملموسة فى معدلات النمو بين المجموعتين السابقتين من الدول ، غير أن هذه الفروق قد تقلصت نسبياً فى الفترتين الثانية والثالثة .

٣ ـ رغم وجود اتجاه عام نحو تناقص معدلات النمو السكانى فى البلدان الستة فيما بين الفترتين الأولى والثالثة إلا أن هذا الاتجاه يتباين من بلد لآخر فيما يتعلق بالفترتين الثانية والثالثة ، ونتيجة لما سبق

(٤٢) انظر : د. معين أحمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ـ ١٤١ .

فهناك ثلاث دول سيتزايد لديها معدل النمو السنوى فيما بين الفترتين الثانية والثالثة بدلاً من أن يتناقص ، وهذه الدول هى : أذربيجان ، وكازاخستان ، وقرغيزستان ، وتفسير ذلك تلاشى دور الهجرة الخارجية السالبة حيث ساهمت هذه الهجرة فى خفض معدل النمو السكانى فيما بين الفترتين الأولى والثانية .

أما الدول الأخرى فهى أوزبكستان وتركانستان ، وطاجيكستان وقد حدث بها تناقص فى معدل النمو السنوى فيما بين الفترتين الثانية والثالثة وذلك كنتيجة مباشرة للتناقص الكبير فى معدلات المواليد لهذه الدول .

٤ ـ يعتبر معدل النمو السنوى منخفضاً جداً فى اقتصاديات البلدان ذات الدخل المرتفع حيث يتوقع أن يبلغ ٠,٥١٪ فقط فى الفترة الثالثة ، فى حين أن معدل النمو السنوى فى البلدان ذات الدخل المنخفض يبلغ ١,٧١٪ .

رابعاً : هيكل التركيب العمرى :

يمكن تصنيف السكان عدة تصنيفات حسب الغرض والأهمية (سياسياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً ، ودينياً) وما يهمنا هو التصنيف حسب العمر وذلك لدلالاته الاقتصادية .

هيكل التركيب العمرى للسكان :

من أكثر التصنيفات العمرية شيوعاً حيث يتم بموجبه تقسيم السكان إلى فئات عمرية ثلاث وهى : الأطفال ، والبالغون والشيوخ

جدول رقم (١٣) هيكل التركيب العمرى للسكان فى عامى ١٩٩١ ، ٢٠٢٥

الدولة	١٩٩١				٢٠٢٥			
	أطفال٪	بالغون٪	شيوخ٪	إجمالى	أطفال٪	بالغون٪	شيوخ٪	إجمالى
آذربيجان	٣٣,١	٦٠,١	٦,٨	١٠٠	٢٢,٦	٦٣,٢	١٤,١	١٠٠
أوزبكستان	٤١,٦	٥٣,٩	٤,٥	١٠٠	٢٧,٥	٦٥,٥	٧,٠	١٠٠
تركمانستان	٤١,٣	٥٤,٢	٣,٥	١٠٠	٢٩,٥	٦٤,١	٦,٤	١٠٠
طاجيكستان	٤٤,٩	٥٠,٢	٤,٩	١٠٠	٣٠,٥	٦٤,٢	٥,٣	١٠٠
كازاخستان	٣١,٦	٦٢,٤	٤,٠	١٠٠	٢٢,٣	٦٤,٦	١٣,١	١٠٠
قيرغيزستان	٣٨,٢	٥٥,٦	٦,٢	١٠٠	٢٥,٨	٦٦,٣	٧,١	١٠٠
الدول مرتفعة الدخل	١٩,٧	٦٧,١	١٣,٢	١٠٠	١٧,٢	٦١,٢	٢١,٦	١٠٠
الدول منخفضة الدخل	٣٥,٤	٦٠,٤	٤,٢	١٠٠	٢٦,٨	٦٥,٦	٧,٦	١٠٠

المصدر:

The World Bank : World Development Report 1993, PP. 288-289.

١ ـ فئة الأطفال :

هى تلك الفئة التى تقل أعمارها عن ١٥ سنة طبقا لتقسيم منظمة العمل الدولية .

(أ) تراوحت فئة الأطفال خلال عام ١٩٩١ بين ٣١,٦٪ ، ٤٤,٩٪

لكل من كازاخستان وطاجيكستان على التوالى . أما على مستوى البلدان ذات الاقتصاديات منخفضة الدخل فقد بلغت نسبتها فى نفس العام ٣٥,٤٪ مقابل ١٩,٧٪ للبلدان ذات الاقتصاديات مرتفعة الدخل ، كما تبلغ هذه النسبة على مستوى العالم ككل ٣٢,٨٪ .

أى أن نسبة الأطفال عالية جداً فى آسيا الوسطى والقوقاز وبخاصة عند مقارنتها بالدول ذات الدخل المرتفع .

أما الحد الأدنى لها كما فى آذربيجان ٣١,١٪ ، وكازاخستان ٣١,٦٪ فيقترب مما هو سائد على مستوى العالم ككل .

(ب) وعلى المدى البعيد فإنه يتوقع أن يحدث بها انخفاض ملاحظ فى الدول الستة دون استثناء وذلك فى عام ٢٠٢٥ بحيث تتراوح معدلات هذه الفئة بين (٢٢,٣٪ ، ٣٠,٥٪) لكل من كازاخستان وطاجيكستان على التوالى . ويأتى هذا الانخفاض فى نسبة الأطفال كنتيجة مباشرة لنقص معدل المواليد ونقص عدد أفراد الأسرة الواحدة ، حيث يقتصر الاتجاه على عدد قليل من الأطفال ، الأمر الذى تتقلص معه قاعدة الهرم السكانى لهذه الدول ، وهو يقترب من النمط السائد فى البلدان المتقدمة[٤٣] .

٢ ـ فئة البالغين :

تشمل الأفراد القادرين على العمل سواء كانوا يعملون بالفعل وأولئك الذين هم خارج قوة العمل سواء برغبتهم أو لعدم توفر فرص

(٤٣) انظر د. معين أحمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

عمل . وسن هذه الفئة يتراوح بين اكثر من ١٥ سنة وأقل من ٦٥ سنة طبقا لتقدير منظمة العمل الدولية .

وهذه الفئة تمثل طاقة العمل فى أى مجتمع ، وكلما زادت نسبة هذه الفئة إلى إجمالى السكان كلما أمكن الاستفادة بعدد كبير من السكان فى العمل الانتاجى ، ولكن ذلك يتوقف على مدى قدرة النظام السائد فى أى دولة على استغلال طاقة العمل لدى هذه الفئة .

ويستدل من الجدول على ما يلى :

(أ) أن فئة البالغين بالنسبة للسكان مرتفعة نسبيا فى البلدان الستة ، وتفوق نسبة الأطفال على التوالى وتتراوح بين (٥٠,٢٪ ، ٦٢,٤٪) وذلك فى عام ١٩٩١ لكل من طاجيكستان وكازاخستان على التوالى . رغم ارتفاع الحدين الأدنى والأعلى لفئة البالغين فى هذه الدول إلا أنها تعتبر منخفضة ، وبخاصة عند مقارنتها بالدول ذات الدخل المرتفع حيث تبلغ فى هذه الدول ٦٧,١٪ فى العام نفسه ، أما على مستوى الدول منخفضة الدخل فإن هذه النسبة تبلغ ٦,٦٪ .

(ب) ومن المتوقع أن تتجه نسبة البالغين نحو الزيادة بشكل كبير ، فوفقاً للتقديرات السكانية لعام ٢٠٢٥ فإن هذه النسبة ستتراوح بين ٦٣٪.٣ ، ٦٦,٣٪ لكل من آذربيجان وقيرغيزستان على التوالى ، أى ستقل الفجوة بين الحدين الأدنى والأعلى لهذه الفئة . وسيأخذ حجم الهرم السكانى الأوسط فى الأتساع بشكل كبير[٤٤] .

---

(٤٤) انظر : د. معين احمد رجب ، مرجع سابق ص ١٤٣ .

٣ ـ فئة الشيوخ :

تصنف هذه الفئة فى غالبية البلدان ضمن السكان الذين تقع أعمارهم خارج سن العمل لأن أعمارهم تزيد على ٦٥ سنة ، وفى هذا السن فإن تشريعات العمل تحيل العاملين إلى سن التقاعد ، وذلك لايتعارض مع استمرار جزء كبير من هذه الفئة فى العطاء دون وجود سن عمرية معنية للتوقف عن العمل ، ويشار إلى هذه الفئة بأنها تمثل قمة الهرم السكانى ، وعادة ما تكون قمة الهرم منحسرة جداً لأن غالبية السكان تتركز فى فئتى البلوغ والطفولة . غير أن السائد فى البلدان النامية بالنسبة للهرم السكانى أن قاعدته تكون عريضة ووسطه ضيق نسبيا وقمته منحسرة جداً بخلاف الأمر فى البلاد المتقدمة الذى تكون قاعدته ضيقه نسبياً ، ووسطه أكثر اتساعاً ، وقمته أوسع قليلاً مما هو سائد فى الدول النامية .

يستدل من الجدول على مايلى[٤٥] :

(أ) تراوحت فئة الشيوخ فى عام ١٩٩١ بين (٣,٥٪ ، ٦,٨٪) لكل من تركمانستان وآذربيجان أى أنها منخفضة نسبياً وذلك نظراً لارتفاع فئة البالغين ، وهى أكثر اقتراباً ، من النمط السائد فى الدول ذات الدخل المنخفض ، حيث تبلغ نسبة هذه الفئة المذكورة ٤٪ ، فى

---

(٤٥) انظر : د. معين أحمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

حين تعتبر هذه النسبة مرتفعة جداً فى البلاد المتقدمة وقد بلغت فى العام نفسه ١٣,٢٪ مما يترتب عليه اتساع قمة الهرم السكانى فى البلاد ذات الدخل المرتفع ، بالمقارنة بما هو سائد فى البلدان ذات الدخل المنخفض ، وكذلك البلدان الإسلامية محل الدراسة سواء بسواء .

(ب) على مدى المستقبل البعيد ستتجه نسبة فئة الشيوخ نحو الارتفاع فى كافة البلدان الستة وذلك فى عام ٢٠٢٥ غير أن هذا الارتفاع سيأخذ صوراً متباينة من دولة لأخرى ، ففى كل من طاجيكستان وقيرغيرستان ستكون الزيادة محدودة ، حيث سترتفع نسبة الشيوخ فى طاجيكستان من ٤,٩٪ إلى ٥,٣٪ وفى قيرغيزستان من ٦,٢٪ إلى ٧,٩٪ وذلك فيما بين عامى ١٩٩١ ـ ٢٠٢٥ أما فى أوزبكستان وتركمانستان فإن نسبة البالغين سترتفع بصورة متوسطة تزيد عن الحالة السابقة ، فسترتفع فى البلد الأول من ٤,٥٪ إلى ٧٪ ، وفى البلد الثانى من ٣,٥٪ إلى ٦,٤٪ غير أنه فى كل من أذربيجان وكازاخستان ستكون نسبة الارتفاع متجاوزة للضعفين فى البلد الأول ، وثلاثة أضعاف فى البلد الثانى ، حيث سترتفع هذه النسبة فى أذربيجان من ٦,٨٪ إلى ١٤,١ وفى كازاخستان من ٤٪ إلى ١٣,١٪ ويعود تدنى نسبة الأطفال فى البلدين الأخيرين بشكل حاد ، إلى زيادة الاهتمام بالرعاية الطبية لكبار السن مما يقلل من نسبة الوفيات بينهم إلى حد كبير .

خامساً : مستوى الرعاية التعليمية والصحية :

لقياس مستوى تقدم الدول أو تخلفها استخدمت الهيئات والمنظمات الدولية العديد من المؤشرات الاقتصادية كمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومى أو الثروة القومية ، أو متوسط نصيب الفرد من استهلاك الطاقة والكهرباء ، .... الخ .

ومجموعة أخرى من المؤشرات الخاصة بالموارد البشرية من خلالها يمكن التعرف على المستوى الغذائى ، ويقدر بعدد السعرات الحرارية التى يحصل عليها الفرد يومياً ، وكذلك المستوى الصحى من خلال العديد من المؤشرات ، كعدد الأفراد لكل سرير ، وعدد الأفراد لكل طبيب ، والعمر المتوقع (المرتقب) ، ولا يقصد بالعمر المتوقع أن الانسان له دخل فى زيادة العمر أو نقصانه ، وكل ما فى الأمر أن الإنسان محاط بكم هائل من الميكروبات والفيروسات والمخاطر تؤدى إلى مرضه ووفاته لكن مع الاكتشافات الطبية أمكن التعرف على سمات بعض الأمراض وأسبابها والتوصل إلى علاج تلك الأمراض ؛ فارتفع مستوى الرعاية الصحية وقائيا وعلاجيا وتعزيزيا ؛ لأن عدم توافر الرعاية الصحية الوقائية والعلاجية والتعزيزية هو فى حقيقة الأمر « التعرض للتهلكة » .

ومن المؤشرات التى تقيس مستوى التعليم ودرجة تطوره ، إجمالى عدد الوحدات التعليمية ، وعدد الوحدات العلمية التى تقدم أعلى مستوى للتدريس .

جدول رقم (١٤) مؤشرات الرعاية التعليمية والصحية

مسلسل المؤشر	آذربيجان	كازاخستان	أوزبكستان	طاجيكستان تركمنستان	قيرغيزستان		دول مرتفعة الدخل	دول منخفضة الدخل
١ ـ الكثافة السكانية	٢٠٩/كم٢	٣٠٠/كم٢	٣١/كم٢	٢٤/كم٢	٥,١/كم٢	١٦,٥/كم٢		
٢ ـ إجمالى الوحدات التعليمية	٤,٣٩٤	٩,١٠٦	٨,٥٤٥	٣,١٥٣	١,٩٥٩	١,٨٥٧		
٣ ـ وحدة علمية/أفراد	١,٥٩٨	١,٨٠٨	٢,٣١٨	١,٦١٥	١,٧٩٨	٢,٢٩٣		
٤ ـ أعلى مستوى للتدريس (٤٦)	أكاديمية بها ٣٠ معهد	أكاديمية بها ٣١ معهد، ٢٠٧ معهد أخرى	أكاديمية بها ٣٧ معهد، ١٨٨ معهد أخر ٢٢٥	أكاديمية بها ١٦ معهد، ٦١ معهد آخر	أكاديمية بها ١٥ معهد، ٥٨ معهد آخر	أكاديمية بها ١٨ معهد، ١٠ معاهد أخرى		
٥ ـ طبيب/أفراد	٢٥٢	٢٤٢	٢٧٤	٣٤٠	٢٧٥	٢٦٦		
٦ ـ سرير/أفراد	٩٩	٧٣	٨٠	٩٣	٨٨	٨٢		
٧ ـ العمر المرتقب (٤٧)	٧١	٦٩	٦٩	٦٩	٦٦	٦٦	٧٧	٦٢

المصدر : أنظر : د. زينب الأشوح ، الأهمية الاقتصادية للجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ ، المجيد السابع ، ص ١٠٧ .

(٤٦) بيانات أعلى مستوى للتدريس مأخوذة من د. عمر محمد الصادق ، مرجع سابق ، ص ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، عدا بيانات أذربيجان .

(٤٧) بيانات العمر المرتقب مأخوذة من : د. معين محمد عطا رجب ، « التطورات السكانية فى آسيا الوسطى فى عقدى الثمانينات والتسعينات » ، بحوث المؤتمر ، المجلد الأول ، ص ١٤٧ ، وأنظر أيضاً :

The World Bank : World Development Report, PP. 238-239.

١ ـ وحدة علمية / أفراد :

هذا المؤشر يقصد به متوسط عدد الأفراد الذين تقدم الخدمات التعليمية لهم فى الوحدة الواحدة المخصصة لهذا الغرض .

يلاحظ أن الوحدة العلمية تقدم خدماتها فى كل من جمهوريتى أوزبكستان وقيرغيزيا لعدد ٢,٣١٣ ، ٢,٢٩٣ من الأفراد على التوالى ، وهذا المتوسط يفوق نظيره فى الجمهوريات الأخرى بمقدار الضعف تقريبا . ومع الأخذ فى الاعتبار معيار الكثافة السكانية فى كل من جمهوريتى أوزبكستان وقيرغيزيا ٣١/كم٢ ، ١٦,٥/كم٢ على التوالى ، فقد يعنى هذا أن كثافة الدارسين المرتفعة فى الجمهوريتين مقارنا بها الجمهوريات الأخرى يمكن أن يوحى بأن مستوى الخدمات التعليمية أكثر تخلفا فى هاتين الجمهوريتين .

وهذا المؤشر لايراعى اختلاف هيكل التركيب العمرى من مجتمع لآخر ، واختلاف الاعداد التى يمكن أن تستوعبها الوحدات العلمية بمستوياتها العلمية المختلفة ، وكذلك اختلاف الأهمية النسبية للخدمات التعليمية التى يتاح للفرد الحصول عليها بالنسبة للفرد والمجتمع .

٢ ـ مؤشر أعلى مستوى للتدريس :

هذا المؤشر يساعد على تقييم الوضع من ناحية النوع ، وليس الكم كالمؤشر السابق .

يلاحظ أن كازاخستان تتمتع بنوعية أعلى من غيرها من الجمهوريات الأخرى حيث يقدم (٢٣٧) معهداً ، فيها أرفع الخدمات

التعليمية تليها أوزبكستان (٢٢٥) معهداً ، ثم طاجيكستان (٧٧) معهداً ثم تركانستان (٧٣) معهد ، ثم آذربيجان (٣٠) معهد وآخيراً قيرغيزستان (٢٨) معهداً .

٣ ـ مؤشر طبيب/أفراد :

هذا المؤشر يستخدم فى تقييم مستوى الخدمات الصحية التى تقدم للأفراد كما يستخدم مع مجموعة من المؤشرات الأخرى فى تقييم درجة تخلف أو تقدم المجتمع موضع الدراسة .

يلاحظ من الجدول تقارب مستوى الخدمة الصحية فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز ، فمتوسط هذا المؤشر فى كازاخستان ٢٤٢ فرد/ طبيب ، وآذربيجان ٢٥٢ فرد/ طبيب ، وقيرغيزيا ٢٦٦ فرد/ طبيب واوزبكستان ٢٧٤ فرد/ طبيب ، وتركانستان ٢٧٥ فرد/ طبيب وأخيراً طاجيكستان ٣٤٠ فرد/ طبيب وبمقارنة هذا المؤشر بمجموعة من الدول الأخرى المتقدمة كاليابان والنمسا واستراليا على التوالى ٦٠٩ ، ٣٥٦ ، ٤٣٨ وكذلك بدول من العالم الثالث كمصر ، وأفغانستان ، وبنجلاديش ٦١٦ ، ٤,٧٩٧ ، ٦,١٦٦ . تبين لنا أن مستوى الخدمة الصحية مرتفع فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز .

٤ ـ مؤشر سرير/ أفراد

هذا المؤشر يستخدم لقياس مستوى الخدمات الصحية التى تقدم للأفراد فى مجتمع ما مقارنا بنقاط زمنية مختلفة أو مقارنا بمجتمعات أخرى .

ومتوسط هذا المؤشر فى الجمهوريات الست على النحو التالى :
كازاخستان ٧٣ ، أزبكستان ٨٠ ، فيرغيزيا ٨٢ ، وتركمنستان ٨٨ ، وطاجيكستان ٩٣ ، وآذربيجان ٩٩ .

وبمقارنة متوسطات هذا المؤشر فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز بمجموعة الدول المتقدمة .

اليابان ٧٧ ، النمسا ١٠١ ، استراليا ١٨٦ ، وكذلك مجموعة من دول العالم الثالث : مصر ٥٠٥ ، افغانستان ٢,٥٠٤ ، بنجلايش ٣,٢٢٣ يتضح لنا مدى التقدم الذى يتمتع به قطاع الخدمات الصحية فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز .

٥ ـ مؤشر العمر المرتقب :

تتوقف أعمار السكان فى بلد من البلاد على الأوضاع الصحية السائدة ، ومدى الرعاية الطبية والوعى الطبى السائد بين السكان ، وبجانب ذلك فهناك الاعتبارات الاقتصادية التى تتيح للأفراد تلبية احتياجاتهم من السلع والخدمات ، كذلك فإن الحروب والكوارث الطبيعية ، وغير الطبيعية تؤثر بشكل مباشر على أعمار السكان . لهذا فكلما انخفضت معدلات الوفيات وبخاصة فى فئات الأعمار المبكرة فإن أعمار السكان تتجه نحو الارتفاع ، والعكس صحيح وهو الأمر السائد فى البلدان المتقدمة[٤٨] .

---

(٤٨) انظر : د. عبدالمنعم ناصر الشافعى : مبادىء الإحصاء ، الجزء الثانى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ـ مكتبة النهضة العربية ، ص ٨٠ .

(أ) هناك ثلاث مستويات لتوقعات الأعمار : المستوى الأول مرتفع وتمثله أذربيجان ويبلغ ٧١ عاما ، والآخر متوسط وتمثله كل من أوزبكستان وطاجيكستان وقازاخستان ويبلغ ٦٩ عاماً ، وأما الثالث فهو منخفض ويمثله كل من تركمانستان ، وقيرغيزستان ويبلغ ٦٦ عاماً فى كل منهما مع ملاحظة أن الفروق بين هذه المستويات ليست متباعدة وخاصة بين كل مستوى والذى يليه .

(ب) العمر المرتقب فى جموريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية يظل أقل مما هو سائد فى البلدان ذات الدخل المرتفع حيث تبلغ هذه التوقعات ٧٧ عاما ، غير أن الحد الأدنى لتوقعات الأعمار فى البلاد الستة وهو ٦٦ عاماً هو ـ أيضا ـ السائد على مستوى العالم ككل وهو مرتفع نسبيا عند مقارنته بما هو سائد فى البلدان ذات الدخل المنخفض .

(جـ) وعلى ضوء توقعات انخفاض معدلات الوفيات خلال الأعوام الثلاثة القادمة فإن توقعات الأعمار ستتجه نحو الارتفاع مستقبلا ، حيث تتحقق كنتيجة لزيادة الاهتمام بالرعاية الصحية والطبية(٤٩) .

انتهى الجزء الثانى
ويليه الجزء الثالث

---

(٤٩) انظر : د. معين رجب ، مرجع سابق ص ١٤٨ .

